

الثقافة
ثراء
وسيرة
لا تنتهي

الأدب الأسبوعي

www.awu.sy

العهد الذهبي
لاتحاد الكتاب
العرب

2019 - 1969

الأسبوع الأدبي - "السنة الواحدة والثلاثون" العدد: "1695" الأحد 13/9/2020م - 26 محرم 1442 هـ 12 صفحة 25 ل.س

جريدة تعنى بشؤون الأدب والفكر والفن تصدر عن اتحاد الكتاب العرب في سورية

• مالك صقور

كلمة أولى

السروة انكسرت

٢٠

أستكمل ما بدأته الأسبوع الماضي عن قصيدة محمود درويش (السروة انكسرت)؛ علاقة الطيور بالشجر علاقة أبدية، كما هو معروف، والطيور تبني أعشاشها على غصون الشجر. ومعروف أيضاً، العلاقة الحميمية بين الطير والغصن، مثلاً: (حلفتك بالغصن يا عصفور)، لكن انكسار الشجرة- السروة، لم يكلف الحمامة عناء، سوى أنها انتقلت إلى عش آخر، في دار مجاورة، ولم يجعل الحمامة ذات الصلة القوية بهذه الشجرة، تكثر، أو تهتم. وكأن شيئاً لم يكن. وكل ما في الأمر، فيما بعد، حلق طائران مهاجران، على (كفاف) مكانها. ربما، كانا في وقت ما، يستريحان على أغصانها، والآن، عرفا، أنها غير موجودة، تهامساً، متبادلين بعض الرموز، وتابعا طيرانهما، كأن شيئاً لم يكن. لا بد من الانتباه أيضاً إلى كلمة (كفاف)، وهذا تأكيد على فقر المكان، وشحّه. أولاً: تقشّف، ثانياً: كفاف.

«وقالت امرأة لجارها: ترى شاهدت عاصفة؟
فقلت: لا. ولا جرافة.. والسروة انكسرت»

مشهد السروة المنكسرة، جعل امرأة تتساءل عن سبب انكسار السروة. فالمرأة التي تعيش أو تسكن في مكان قريب من السروة، تتساءل عن سبب انكسار السروة، فهي، لم تعلم. ولم تسمع هبوب عاصفة قوية سببت بانكسار السروة، ويأتي تأكيد الجارة: لم تسمع بعاصفة، ولم تر جرافة!! لكن السروة انكسرت.

إذن، لا بد من سرٍ من لغز قد سبب انكسار السروة!!
ويتابع الشاعر إكمال المشهد بقوله:

«وقال العابرون على الحطام
لعلها سئمت من الإهمال أو هرمت
من الأيام، فهي طويلة كزرافة، وقليلة
المعنى كمكنسة الغبار، ولا تظلل عاشقين»

ويعلل العابرون على الحطام، سبب انكسار السروة، فهذا يقول: ربما سئمت من الإهمال. أي، أهمل أصحابها شأنها، والإهمال المتمم سبب لها السأم. فلم تتحمل. ويقول آخر بلا مبالاة، معللاً واصفاً أنها هرمت، والهرم نهايته الموت. ويقول ثالث، واصفاً السروة، أنها طويلة كزرافة. ولا نفع ومنفعة من هذا الطول.

ويقول رابع: إنها قليلة المعنى، فهي كمكنسة الغبار. فطبيعة شجر السرو، أنه يجمع غباراً كثيفاً، ولذلك، لا معنى لها. أما الأخير فيقول: (ولا تظلل عاشقين)، وفي رأيه، ومن وجهة نظره، أن شجرة لا تظلل عاشقين، لا نفع منها وفيها.

«وقال طفل: كنت أرسمها بلا خطأ
فإن قوامها سهل، وقالت طفلة:

إن السماء اليوم ناقصة لأن السروة انكسرت
وقال فتى: ولكن السماء اليوم كاملة

لأن السروة انكسرت. وقلت أنا لنفسي:
لا غموض ولا وضوح، السروة انكسرت.

وهكذا كل ما في الأمر: إن السروة انكسرت،

بالنسبة لطفل، فإن السروة تعني له، فيما تعني، أنه كان يرسمها بلا خطأ، فشكل السروة، يغري الأطفال بالرسم، وهذا الطفل شأنه شأن كل الأطفال الذين يبدؤون بتعلم الرسم، أو تمارين الرسم عموماً، أول ما يرسمون شجرة سرو، لأن قوامها سهل الرسم. وكل ما تعنيه الآن، أنه كان يرسمها بلا خطأ. أما طفلة أخرى، فرأت المشهد ناقصاً. فهي اعتادت على مرأى (السروة) دائماً. والآن لا تراها، فالسروة كانت جزءاً من مشهد السماء. لذلك، من وجهة نظرها: (إن السماء اليوم ناقصة) من غير السروة.

لكن فتى آخر، يرى العكس تماماً. فيما أن السروة باتت غير موجودة، فمن وجهة نظره (السماء اليوم كاملة)، لأن السروة انكسرت. فهي كانت تحجب أو تسد رؤية السماء، أو جزءاً منها، وعندما أزيلت السروة، اكتمل مشهد السماء كاملاً. وتأتي الخاتمة بعد كل ما قيل:

«وقلت أنا لنفسي: إن المسألة واضحة، علام الالتباس بين الوضوح والغموض، إن كل ما في الأمر، أن السروة انكسرت. وكأنه يقول: علام الخلاف والاختلاف، وعلام التحليل والتعليل، والشرح والتفسير: (إن السروة انكسرت). هذا هو الأمر المهم.



لوحتان للفنان التشكيلي محمد العامري

أبوللو والصفقة الكبرى

• حنا عبود

حصلت الصفقة بين أخوين: هرمس ابن مايا وأبوللو ابن لبتو وكلاهما ولدا زيوس كبير الآلهة. بعد ولادة هرمس بدقائق في كهف ناء في أركاديا، سمع خوار بقر بجانبه فراح يتحرى الأمر فوجده قطيعاً بلا راع. وحتى يضل صاحب القطيع صنع لقدميه حذاءين خاصين وألصق بهما عشباً ندياً حتى تتبعه الأبقار. أما الأبقار فمزج عشباً ورملاً وتراباً وجعل لكل بقرة نعلاً مطموس الأثار حتى لا يعرف مقتفو الأثار اتجاه سير القطيع.

أما راعي الأبقار (وهي أبقار آدميتوس، الملك الذي يخدم عنده حتى يتطهر) فكان أبوللو يرعاها في البراري عقاباً له على ما اقترفه من ذنب في تدمير السيكلوب، عمال أخيه هيفستوس، الحداد الماهر. وهذه هي العادة، عندما يخطئ إله يعاقب بالعمل في الأرض حتى يتطهر. ولما عاد أبوللو من مغامراته لم يجد القطيع، ولم يعرف أين ذهب القطيع مع أنه معلم النبوءات للكثيرين والكثيرات. أخيراً عرف أنه هرمس الذي لم يرث غباء أمه مايا ولا غباء والدها أطلس، بل ورث اللصوصية والذكاء من بروميثيوس شقيق جده أطلس.

حاولت مايا أن تتدخل زاعمة أنه لا يعقل لابن مولود منذ ساعات أن يسرق قطيعاً بكامله. فنهرا أبوللو وقال لها بأنه لا يوجد في الجيرة أحد سواكما أنت وابنك. أما العمر فانك أيتها تشبيهين البشر في غبائهم، فهم يعاملون الآلهة كأنهم بشر ويعاملون البشر كأنهم آلهة، فيعانون المأساة. لو كان عمر الإله ربع دقيقة لما فشل في سرقة قطيع بألف رأس من الماشية.

اتفق الاثنان على المثل أمام أبيهما زيوس، رب الحكمة والقوة والعدالة، فنجح أبوللو، لأن هرمس لم يقدم الدليل على ملكية القطيع، ثم إن كراماً وحارث حقل شاهداه بأم العين، كما أن سيلينا ربة القمر رآته ليلاً... فقال لأخيه تعال غداً وخذ القطيع، سأنتظرك في الحقل الأوسط على ضفة نهر ألفيوس. قال له إنك تغشني ضفة ألفيوس طويلة، فأجابه هرمس، أنت إله وسوف تعرف الحقل عندما تسمع الأصوات.

كان هرمس قد أمسك بسلحفاة وأفرغ درعها وصنع قيثارة جميلة، وصنع الأوتار من أمعاء بقرتين من بقرات القطيع كان قدمهما قرباناً لأبيه حتى يرضى عن سرقة ويسامحه. وقرب من النار قرنين وجعلهما يحملان الأوتار، وقد ثقبهما بعد أن قربهما من النار حتى صارا لدنين.

سار أبوللو في اليوم التالي يبحث عن الحقل فسمع ألقاناً شجية ناعمة تمسك بقلبه وتشحنه بالتأملات. نسي القطيع واتجه إلى الصوت فإذا أخوه هرمس يرعى القطيع نفسه. ولما سأله من أين تصدر الألقان شرح له كيف ابتكر القيثارة التي تصدر هذه الألقان التي أعجبتة.

وقف أبوللو يفكر ويصنن إلى أن قال لهرمس: هل تعطيني هذه القيثارة وتأخذ القطيع؟ كله؟ بلى كله. وعاد أبوللو وليس معه سوى القيثارة التي استغرق مدة طويلة حتى تعلم عليها العزف والألحان المدهشة. وهناك شائعة سرت بأن أبوللو هو الذي أضاف إلى القيثارة وترها الرابع.

أما هرمس فكان عليه أن يرعى القطيع الذي صار يملكه، وحتى يتسلى في البراري والحقول أمسك بقصبة وقطعها وثقبها فصارت مزماراً راح يعزف عليه حتى يجنه الليل ويعود بالقطيع إلى المنزل.

مر أبوللو ذات يوم بالقرب من مرعى أخيه هرمس فسمع صوتاً عجيباً. ليس صوت القيثارة، ولا يشبهه، إنه صوت آخر مختلف كل الاختلاف، فهو أكثر رقة وحناناً، فخرج يستوضح الأمر.

سأل: ما هذا الذي تلعب عليه؟

أجاب: إنه المزمار. اخترعته حتى أتسلى.

فطلب: أريده كتنمة للصفقة.

هرمس: بل إنه صفقة قائمة بذاتها، ولا علاقة لها بالقطيع، هي صفقة كبرى استعين بها على إصلاح الأمور، أموري وأمور الناس.

أبوللو: لقاء...؟

وقبل أن يكمل أبوللو سؤاله أجاب هرمس: لقاء هذه العصا الذهبية wand التي معك.

رجع أبوللو إلى الخلف مندهشاً: أتعرف ما هذه العصا؟

أجاب هرمس: أنا الذي أعرفها. إنها عصا الثروة، فلا يوجد في العالم ثروة تضاهيها. إنها العصا السحرية التي تلبيك في كل الماديات التي تطلبها.

أبوللو: أهكذا يا هرمس؟ ثروة العالم كله مقابل ثلاث عقد من القصب المثقوب ستة ثقوب؟ ستصبح الأغنى!

هرمس: وأنت ستصبح الأمجد، فليس سهلاً أن تصبح رب الفنون.

أبوللو: ستكون سيد الثروة.

هرمس: وستكون سيد الفن، اسمك على كل لسان، وسوف تصبح مايسترو ربات الفنون في جبل البرناس.

رفع أبوللو نظره إلى الأعلى وبحث عن جبل البرناس الشاهق، ثم ثبت نظره فيه، وراح يتخيل كيف يصبح اسماً يذكره كل الفنانين والشعراء والأدباء... وكيف يسحر النفوس ويسيطر عليها، وكيف سينهض بالمشاعر البشرية إلى مستوى أعلى.

وتمت الصفقة وعاش الناس في أمان وبحبوحه، لأن العصا تحولت إلى قادوس Caduceus وهي العصا التي تحافظ على الوفرة لجميع الناس. ولكن مع الأيام لم يعد البشر يحترمون الأصول والقواعد فصاروا أديعاء فن ومحدثي نعمة.

إننا ننصح الأحياء حقاً في جميع الأمم والشعوب والدول في العالمين الأول والثاني وبالأخص في العالم الثالث، وننصح أصحاب الشأن والإدارة، لصالح أمورهم وأمور غيرهم، بأن تفرض هذه الصفقة الكبرى فرضاً بين رجال الأعمال (من جميع الأنواع: المتورط والجشع والمهرب وتاجر السلاح والمتخلف عن أداء الضرائب والغشاش والمخادع والمتعدي... الخ) وبين الفنانين، كأن لا يسمح بممارسة أي 'بزنس' إلا إذا تعلم فناً من الفنون إلى درجة العشق... من يدري فقد ترق الطبائع وتصلح الأمور، بعد أن يتذوق محدث النعمة طعم الفن وبعد أن يتخلص الفنان من سيف الحاجة المسلط؟

لغتنا الجميلة

• معاوية كوجان

في منطوقنا اللغوي المتداول استخدامات خاطئة كثيرة، آتى على ذكر بعضها وتصويبها. كلمة (بمفرد) واحدة من تلك الأخطاء.

الفرد في اللغة العربية الوتر، ويجمع على أفراد. وكلمة (مُفرد) (كَمُرْسَل) اسم مفعول للفعل الماضي المبني للمجهول (أفرد). والمُفردُ مَنْ تمَّ جعله فرداً. و(بمفرد) جار ومجرور غير متعلقين بشيء. ولكي يصح استخدام كلمة (بمفرد) علينا أن نقول مثلاً: أنت مُفردِي. أي أنا من أفردتك. وكان بمفرد مجتمعا أو ملتصقا.

ويعرب الناس عن معنى الوحدة خطأ فيقولون: كان بمفرد. وهذا تركيب سقيم. والصواب أن نقول: كان وحده، أو كان وحيداً.

المثال الثاني كلمة (مُقدور). يقولون على سبيل الخطأ: كان بمقدورك فعل كذا.

الفعل (قَدَرَ) يعني قَلَّلَ. قال تعالى: ﴿فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾. والقَدْرُ قضاء الله المحتوم. والمقدور كمكتوب اسم المفعول للفعل (قَدَرَ). والقدره والاقْتِدَارُ الاستطاعة والقوة وإمكان القيام بالفعل. ومن هنا لا يصح أن نقول: كان بمقدورك أن تفعل كذا. الصواب أن نقول: كنت تقدر أن تفعل كذا، أو كان قادراً على النهوض، ويمكنك فعل كذا.

الفعل ماز أي عزل وفرز ومضارعه يَمَيِّرُ، ومصدره (مَيِّرًا) كَمَيِّرٌ يَمَيِّرُ تَمَيِّزًا فانماز وامتاز، واسم مفعوله (مَمَيِّرٌ). ويخطئون فيقولون متميز والصواب (مَمَيِّرٌ) لأن (المتميز) اسم فاعل معناه المنتقطع. جاء في سورة الملك في وصف النار: ﴿تَكَادُ تَمَيِّرُ مِنَ الْغَيْظِ﴾، أي تنتقطع.

والميزة ما يمتاز به الإنسان. وجمعها ميزات. وثمة جمع لها يتداوله الناس خطأ فيقولون ميزات وميزة.

موت الفيلسوف

• د. علي القيم



لحظة مفصلية في تاريخ
أثينا.

يقرأ الكاتب الإنكليزي
(روين وتريفيلد)
بأن أساطير عديدة قد
تبلورت على مرّ القرون،
منذ محاكمة سقراط
الشهيرة، وإدائته بالموت
متجرعاً السم القاتل..

لقد عمد كل عصر، وكل
مفكر إلى نسخ سقراط

خاصة.. لا ريب في أنه كان محط إعجاب فترك
ثغراً في حائط يقين الآخرين.. أولئك جميعاً رأوا
فيه تمرداً على أعراف قرن عاش فيه، في المظهر
والسلوك، فضلاً عن المقاربات والأساليب.

لقد دأب كثيرون من الكتاب على وصف سقراط
بالمزعج لأنه أزعج ((ديمقراطية أثينا)) واقتنع
بأن سلطة الحكماء مشروع واقعي.. لقد بزغ
سقراط في كتابات أفلاطون وغيره، كمراقب
مثالي للطبوس الدينية، وكعارف للمدينة ونظامها
القانوني وسياساتها التي أدت إلى حرب منهكة
مع اسبرطة، وألقت بنفسها تحت رحمة الطموح،
وحشد من السياسيين عديمي الضمير، لقد سلط
الضوء على أمور كانت يجب أن تبقى في العتمة،
فباتت مسألة يجب إنهاؤها، وأصبحت لغزاً وفرداً
تعذر فهمه، وكان لا بد من موت الفيلسوف.

أدهشتني دراسة حديثة صدرت
تحت عنوان ((سبب موت سقراط))
لروين وتريفيلد، الذي يعيد ترتيب
الأحداث التي أمت بهذا الفيلسوف
العملاق، وكيف واجه تهماً أمام قوس
المحكمة في ((آغورا)) أثينا بحضور
خمسائة من القضاة الذين اتهموه
بالعقوق وإفساد جيل الشباب، وحامت
التهمة في ثلاثة محاور: تجاهل آلهة
المدينة، وإدخال آلهة جديدة إلى
المكان، وإفساد الشباب في أثينا.

لقد تعاون سقراط مع جيل الشباب المثيرين
للجدل، الذين ثاروا وصاروا كالتقريح في وجه
((الديمقراطية المرممة)) وجاءت محاكمة
سقراط حصيلة السياسات السائدة في أثينا عام
399/ قبل الميلاد، ويبحث ((وتر فيلد)) عن
الدوافع التي أدت إلى محاكمته وقتله، فلا تزال
الذرائع مبهمه، وأي أذى قام به، ومن كان يستهدف
فعلاً؟.. الإجابة عسيرة، وسقراط من صنف نبذ
المال، ولم يتخذ في الظاهر دوراً محورياً في السياسة،
ولم ينجز سوى الترحّل في شوارع أثينا، متحدثاً
إلى الناس، وبالنسبة إلى المعجبين بديمقراطية
أثينا الراويكالية، بقي إعدامه موضوعاً مزعزماً
ومحفزاً للأسئلة، ليس أقلها محاولة فهم إمكان
إدانة مجتمع احتفى بحرية التعبير ليرى في
السبعين من عمره.

منذ وفاته عاش سقراط التاريخ، على أفضل
نحو بوصفه أول متمرّد في الغرب، وكانت محاكمته

حبر كالدّم .. وحبر كالماء ..

• سهيل الشّعار

صحيح أن الذهب والياقوت والفيروز عناصر غالية، إنّما هناك ما هو
أغلى منها بكثير..
إنّها الأيدي التي تتعامل معها، والعقول التي تحدّد الهدف من تلك
العناصر.

إن الورق الأبيض في متناول الجميع، أما الحبر الذي سيحمله فهو
الذي سيحدّد قيمة الورقة.
فهناك حبر كالدّم

وحبر كالماء

وحبر كرائحة البنفسج

وحبر كرائحة الطين

وحبر يحيي الكلمات

وحبر يميّتها

وتبقى العبرة.. بل كل العبر، في الاستخدام.

2- نظر العين وبصيرة القلب

من ينظر ليُبصر، يختلف عن ذلك الذي ينظر ليرى..

النظر تشابه

أي أنّنا كلّنا متشابهون في لون العيون وأحياناً في حجمها وشكلها، إنّما العبرة
في الرؤية..

النظر تشابه.. والرؤية اختلاف..

ومن ينظر ليُشبع عينه ومعدته، فلا أمل أبداً في أن يشبع، ((فقد ولد ليأكل
لا ليعيش..))

ومن ينظر ليُبصر.. وتكون بصيرته رؤية وتفكير، فقد عاش حياته مرّتين.
3- التأمّل والإصغاء

صوت هي المهبة، والجدد والاهتمام والمثابرة، هي التي ستحوّل ذلك
الصوت إلى لحن وأغنية، إلى وردة لها رائحة، وغيمة حلي بالثلج والمطر.

وكما أنّ العاصف لا تقدر أن تعلمنا الغناء والطيران إلا إذا أصغينا جيداً
لصوتها، وتأمّلنا كثيراً حركة أجنحتها، كذلك هم المبدعون الكبار، إنهم
يضعون الإصغاء والتأمّل في مقدمة كل عمل عظيم يُقدّمون عليه.

ولكي يتأمّل الإنسان ويصغي لصوت غيره، عليه أولاً أن يكون متواضعاً،
فالتواضع صفة عظيمة من صفات الرسل والعظماء.

((فالأنبياء رعو الغنم.. ثم قادوا الأمم..))

الرأسمالية المعاصرة في أطرافها

القسم الثالث: دور الدولة، سمات الأزمة
الاقتصادية:

الفصل الأول - تطور دور الدولة،
سياساتها الاقتصادية والنقدية

الفصل الثاني - سمات الأزمة
الاقتصادية، مظاهرها المزمنة

القسم الرابع: سمات الرأسمالية المعاصرة،
الفصل الأول - التدهور في معدلات الربح،
تدويل الإنتاج والتبادل

الفصل الثاني - تكثيف النهب الإمبريالي
للبلدان التابعة

القسم الخامس: التحولات
البنوية للرأسمالية، جرّاء الثورة
العلمية - التكنولوجية:

الفصل الأول - التحولات
البنوية جرّاء الثورة العلمية -
التكنولوجية

الفصل الثاني - الثورة
التكنولوجية، انعكاسها على البنية
الهيكلية

الفصل الثالث - نمو قطاع
الخدمات، دولة الدولة

جاء الكتاب في حوالي 280/
صفحة من الحجم الوسط.



صدر عن المركز الفلسطيني للتوثيق والمعلومات
كتاب جديد من سلسلة (من الفكر السياسي
الفلسطيني المعاصر) بعنوان: «الرأسمالية المعاصرة
في مراكزها» للكاتبين قيس عبد الكريم وخالدة عطا.
جاء في فهرس الكتاب:

القسم الأول: تطور الرأسمالية حتى نهاية
ستينيات ق20،

الفصل الأول - أزمت ما بين الحربين، التجديد
الذاتي بعد الحرب العالمية الثانية

الفصل الثاني - ظهور الاحتكارات فوق القومية

الفصل الثالث - النهب الإمبريالية والأزمات
الدورية

القسم الثاني: تطور
الرأسمالية في سبعينيات
ق20، وفي مطلع ثمانينياته:

الفصل الأول
- تطور معدلات الربح،
علاقتها بمعدلات نمو الإنتاج

الفصل الثاني
- تمركز رأس المال، عملاقة
الاحتكارات فوق القومية

الفصل الثالث -
النهب الإمبريالي للبلدان
النامية

القسم الثالث: نموذج البلدان النامية:
الفصل الأول - رأسمالية الأطراف:
تكثيف النهب الإمبريالي وتعاضم السمات
الكومبرادورية.

الفصل الثاني - النهب الإمبريالي للبلدان
النامية، وأشار الاقتصادية والاجتماعية
الراهنة.

القسم الرابع: في الاقتصاد السياسي -
نموذج البلدان العربية:
الفصل الأول - معالم التطور الرأسمالي
التبعية في العالم العربي
الفصل الثاني - الكومبرادور يعمق التبعية:
نموذج البلدان العربية
المصدرة للنفط.

صدر عن المركز الفلسطيني للتوثيق
والمعلومات كتاب جديد من سلسلة (من الفكر
السياسي الفلسطيني المعاصر) بعنوان:
«الرأسمالية المعاصرة في أطرافها» للكاتبين
قيس عبد الكريم وسليمان الرياشي.
جاء في فهرس الكتاب:

القسم الأول: مقدمات نظرية 2/1،
الفصل الأول - ماركس: حول تناقضات
الرأسمالية، وقوانين تطورها

الفصل الثاني - لينين: الرأسمالية في
مرحلتها الإمبريالية

الفصل الثالث: موضوعات حول الرأسمالية
المعاصرة

الفصل الرابع:
الاقتصاد السياسي:
مقولات ومفاهيم

القسم الثاني: مقدمات
نظرية 2/2

الفصل الأول - الطبقة
العاملة والشرائح الوسطى

الفصل الثاني -
أزمة «علم الاقتصاد
البورجوازي»

القسم الثالث: في
الاقتصاد السياسي -

الفصل الثالث:
التحرر العربية
جاء الكتاب في حوالي
280/ صفحة من الحجم
الوسط.

القسم الثالث: نموذج البلدان العربية:
الفصل الأول - رأسمالية الأطراف:
تكثيف النهب الإمبريالي وتعاضم السمات
الكومبرادورية.

الفصل الثاني - النهب الإمبريالي للبلدان
النامية، وأشار الاقتصادية والاجتماعية
الراهنة.



آدم سميث وثرثرة الأمم

• أ. د. مصطفى العبد الله الكفري



آدم سميث عالم اقتصاد وفيلسوف ومؤلف اسكتلندي عاش في القرن الثامن عشر، ويعد أبا لعلم الاقتصاد الحديث. كان سميث مؤيداً لسياسات عدم التدخل الاقتصادية وكانت أفكارها الجديدة تتناقض أحياناً مع أفكار التجاريين (المركنتليين Mercantilism). وهو أول من حدد بشكل علمي مفهوم الناتج المحلي الإجمالي ونظريته في تعويض فروق الأجور (1).

تاريخ ميلاد سميث المسجل كما ورد من المعمودية 5 يونيو 1723 في كيركالدياسكتلندا. انتسب سميث إلى جامعة غلاسكو في اسكتلندا وهو في سن الثالثة عشرة، ودرس الفلسفة والأخلاق. ثم التحق بالدراسات العليا في كلية باليول المرموقة في جامعة أكسفورد. بعد عودته إلى اسكتلندا، ألقى سميث سلسلة من المحاضرات العامة في جامعة إدنبرة. ساعده نجاح سلسلة محاضراته في الحصول على أستاذ في جامعة غلاسكو عام 1751. وحصل على منصب رئيس مسار الفلسفة الأخلاقية. خلال سنواته التي قضاها في التدريس والعمل في جامعة غلاسكو، نشر سميث بعض محاضراته. كما نشر كتابه (نظرية المشاعر الأخلاقية) في عام 1759. ثم انتقل إلى فرنسا عام 1763 لقبول منصب أكثر مردوداً كمدرس شخصي لربيب تشارلز تاونشند، وهو اقتصادي هاو ومستشار الخزانة المستقبلي. خلال فترة وجوده في فرنسا، عاصر سميث الفلاسفة ديفيد هيوم وفولتير وبنيامين فرانكلين (2).

معظم الاقتصاديين يؤكدون أن آدم سميث هو أبو علم الاقتصاد الحديث، ويستندون بذلك إلى أنه منذ أن نشر كتابه بعنوان: ثروة الأمم Wealth of Nations تراجمت أهمية معظم الكتب التي وضعت في علم الاقتصاد قبله، بعبارة أخرى أنه فاق من كان قبله من علماء الاقتصاد، أما أسباب تميز كتابه عن غيره من الكتب الاقتصادية فهي (3):

أولاً - كان لكتابه في عهده قيمة علمية وفكرية وأدبية. ثانياً - اقتبس آدم سميث ممن سبقوه من علماء الاقتصاد، وأضاف ما اكتسبه بالخبرة أو وصل إليه بالدرس فوضع نظاماً جديداً شاملاً. ويظهر أن المؤلفين الذين كان لهم عليه تأثير كبير في حياته، أو كانت أفكارهم من دواعي سلوكه الطريق التي سلكها (هنتشون وهيوم مانديفيل).

ثالثاً - استفاد من آراء الفيزيوقراطيين، حيث التقى أثناء إقامته بباريس عام 1765 اثنين من أقطاب المدرسة الفيزيوقراطية (تيرجو وديكناي)، وتأثر سميث بأهم آراء الفيزيوقراطيين، وخاصة ما يتعلق بتقسيم الثروة، ويرجع تفوقه عليهم أنه ترك الأنظمة الاقتصادية المفككة، وأدخل الاقتصاد في دائرة العلوم؛ فأصبح (علم الاقتصاد). تولى سميث في 19 يوليو 1790، عن عمر يناهز 67 عاماً.

كتاب آدم سميث الشهير ثروة الأمم Wealth of Nations؛

كانت مساهمة سميث الأبرز في مجال الاقتصاد كتابه، تحقيق في طبيعة وأسباب ثروة الأمم، في عام 1776 (4).

نشر سميث أهم أعماله بعنوان: «تحقيق في طبيعة وأسباب ثروة الأمم» تم اختصاره إلى «ثروة الأمم» في عام 1776 بعد عودته من فرنسا والتقاعد في مسقط رأسه كيركالدي، باسكتلندا. في كتاب «ثروة الأمم»، قام سميث بتعميم الأفكار التي تشكل أساس الاقتصاد الكلاسيكي. حيث بنى الاقتصاديون الآخرون على أعمال سميث الفكرية لترسيخ النظرية الاقتصادية الكلاسيكية، المدرسة المهيمنة على الفكر الاقتصادي خلال فترة الكساد الكبير. وكانت أفكار سميث واضحة في أعمال ديفيد ريكاردو وكارل ماركس الفكرية في القرن التاسع عشر، وجون ماينارد كينز وميلتون فريدمان في القرن العشرين (5).

الثروة كما يراها سميث هي؛

ما هي الثروة؟ الثروة هي مجموع الأموال المادية التي تصلح لإشباع الحاجات البشرية والتي يحصل عليها الإنسان من عمله مباشرة أو بالمبادلة، والثروة السنوية للأمة هي مجموع الأموال المادية التي أنتجها أفرادها بعملهم المشترك مباشرة أو بمبادلة قسم من عملهم بنتاج عمل الأمم الأخرى، ويبدو هنا جلياً انفصال سميث عن كل من المركنتليين والفيزيوقراطيين.

عرف سمث ثروة أي أمة من الأمم بأنها ليست مقدار الذهب أو الفضة الذي تمتلكه، بل هي الأرض وتحسيناتها وغلاتها، والشعب وجهده وخدماته ومهاراته ومنتجاته. (وكانت نظريته أن أكبر الثروات المادية تكون نتيجة لأكبر الجريات الاقتصادية، وهذا مع بعض الاستثناءات. وحب المنفعة الشخصية أمر عام بين جميع الناس، ولكننا لو سمحنا لهذا الدافع القوي بالعمل بأقصى حرية اقتصادية لحفز من النشاط والجرأة والمنافسة ما يثمر من الثروات أكثر من أي نظام آخر عرفه التاريخ... وقد آمن سمث بأن قوانين السوق- خصوصاً قانون العرض والطلب- ستنسق بين حرية المنتج ومصالح المستهلك؛ ذلك أنه لو حقق المنتج أرباحاً باهظة لدخل غيره الميدان نفسه، ولأبقى التنافس المتبادل بينهما الأسعار والأرباح في نطاق حدود معقولة. ثم أن المستهلك سيتمتع بضرب من الديمقراطية الاقتصادية. ذلك أنه بالشراء أو برفض الشراء سيقرر إلى حد كبير أي السلع تنتج، وأي الخدمات تقدم وبأي مقدار وضمن، بدلاً من أن تملي الحكومة كل هذه الأمور (6).

وبذلك يتوقف حجم ثروة أي بلد على عدد السكان المشتغلين في مجال الإنتاج وعلى مستوى إنتاجية العمل (فالعامل هو الأساس لثروة الأمم)، وتتوقف إنتاجية العمل قبل كل شيء على درجة تقسيم العمل. والإنتاج برأي سميث يعني؛ مضاعفة كميات الثروة (الزراعة).

جعل المادة صالحة لإشباع الحاجة (الصناعة). وبشكل عام فإن الإنتاج في رأيه هو الإنتاج المادي حصراً. في الحقيقة أن مقولة (ثروة الأمم) تعني لدى سميث رأس المال وأن الوسيلة الأساسية لزيادة هذه (الثروة) هي تطوير تقسيم العمل المانفكتوري.

ناقشت أعمال سميث الفكرية تطور المجتمع البشري من مرحلة الصيد بدون حقوق الملكية والإقامة المتغيرة أو المساكن الثابتة إلى مرحلة الزراعة البدائية. ثم مرحلة الإقطاعية حيث يتم وضع القوانين وحقوق الملكية لحماية الطبقات المتميزة المالكة لوسائل الإنتاج. وأخيراً المجتمع حديث يتميز بفلسفة الأسواق الحرة حيث يتم إنشاء مؤسسات جديدة لإجراء معاملات السوق (7).

في كتابه الأول، (نظرية الوجدان الأخلاقي) 1759، اقترح سميث فكرة اليد الخفية، وأكد ميل الأسواق الحرة لتنظيم نفسها بنفسها عن طريق المنافسة والعرض والطلب والمنفعة أو المصلحة الذاتية (8).

ما يدهشنا في مبادئ سميث أنه بالرغم من نظريته في تقسيم العمل نرى أنه لا يقدر، أو لا يريد أن يساوي الزراعة بمصادر الثروة الأخرى، بل هو يضعها على رأس سائر الفنون، وهذا لا شك راجع إلى تأثير الفيزيوقراطيين، وقد أكد سميث بالإضافة إلى مبدأ تقسيم العمل مبدأين آخرين؛

الأول - رأيه في طبيعة الأشياء،

والثاني - رأيه في حسن الظن بالأشياء.

ويقصد برأيه في طبيعة الأشياء أن الأنظمة الاقتصادية لا تأتي بعد تدبير وإنما هي تأتي بطبيعتها العفوية دون تعليل، ونقصد بحسن ظنه بالأشياء رأيه القائل: بأن كل الأنظمة الاقتصادية والاجتماعية ترمي إلى غايات حميدة.

كان آدم سميث يظن أنه متى أثبت أن وجود الأنظمة الاقتصادية أمر طبيعي، أمكنه في الوقت نفسه أن يثبت اتجاهها في سبيل الخير الإنساني. لكن هذا غلط واضح من الأستاذ العظيم؛ لأن إثبات صدور أمر من الطبيعة أمر، وإثبات اتجاه هذا الأمر نحو الخير أمر ثان، لكن سميث لم يكن يفصل بينهما، أما علماء الاقتصاد الذين جاءوا بعده اتخذوا الرأي الأول؛ أي وجود الأنظمة الاقتصادية بطبيعتها، ورفضوا الرأي الثاني؛ أي اتجاه تلك الأنظمة نحو الخير العام دائماً.

طبق آدم سميث نظريته هذه في مسألة النقود. حيث يؤكد أن ثروة البلاد هي المحصول السنوي من أرضها وعملها، أما النقود فهي لا ينتفع بها كما ينتفع بالقمح، إنما هي أداة لتداول الثروة ليس إلا؛ لذا يقول آدم سميث بأهمية الأوراق المالية البنك نوت لأنها بوجودها وباستغناء الناس بقطع من الورق عن مقادير وافرة من الذهب والفضة، أمكن للأمة الانتفاع بما عندها من الذهب والفضة بإرساله خارج البلاد لزيادة الثروة الحقيقية. وخلاصة القول أن السياسة التي تعمل على تكويم المال في بلد من البلاد هي مخالفة لفكرة شراء الأمة؛ لأن المقدار الكثير من النقود لا يزيد ثروة الأمة إنما هو على العكس يضايقها. وما يصدق على النقود المعدنية يصدق على الأوراق المالية؛ لذا كانت تلك الأوراق النقدية تابعة لقانون ثابت، يقضي عليها بأن لا تزيد عن المطلوب ولا هبطت قيمتها.

أما القوة الخفية التي تحرك الناس في نشاطهم الاقتصادي نحو حياة التقدم هي المصلحة الذاتية، ورغبة الإنسان في تحسين حاله، وغريزة الفرد التي لا تفتأ تحثه على التقدم. فخلاصة فكر آدم سميث هي وجود أنظمة اقتصادية بطبيعتها، وأن هذه الأنظمة محفوظة بمصالح الأفراد وتحقيق شهواتهم ورغباتهم المختلفة.

المراجع؛

(1) معهد آدم سميث. «ثروة الأمم». تم الوصول إليه في 1 مارس 2020.

(2) موسوعة بريتانىكا. «آدم سميث». تم الوصول إليه في 1 مارس 2020.

(3) محمد لطفي جمعة، محاضرة بتاريخ: الاثنين 16 كانون الثاني/يناير سنة 1911.

(4) جامعة جرونينجن. «سيرة آدم سميث (1723-1790)». تم الوصول إليه في 1

مارس 2020.

(5) مؤسسة تعليم الاقتصاد. «بدأ كل شيء مع آدم». تم الوصول إليه في 1 مارس

2020.

(6) آدم سميث،

https://www.marefa.org/%D8%A2%D8%AF%D9_85%D8%AB%85%D9%8%B3%D9

(7) موسوعة بريتانىكا. «ثروة الأمم». تم الوصول إليه في 1 مارس 2020.

(8) موسوعة الفلسفة على الإنترنت. «آدم سميث (1723-1790)». تم الوصول إليه

في 1 مارس 2020. آدم سميث، راكيش شارما، تم التحديث في 16 فبراير 2020.

https://www.investopedia.com/updates/adam-smith-economics/#citation-10

التحية عند العرب

• أ.د. منى إلياس

من الظواهر الكونية الكبرى التي لفتت أنظار البشر منذ أقدم العصور، طلوع الشمس وغروبها وما ينشأ من ذلك من ليل أو نهار. ولهذا كانت التفرقة بين النور والظلام مضرب المثل في التمييز بين شيء وغيره لدى جملة الشعوب والجماعات، كما يعم بينهم تحية بعضهم بعضاً في الصباح والمساء مما يدل على تمني الخير في هذين الوقتين ويكون الجواب على وفق التحية ولهذا تقاربت التحيات وأجوبتها في جملة الشعوب. وقد لفت منتصف النهار، أو توسط الشمس السماء نظر بعض الجماعات، فأنشأت تحية لما بعد الظهر حتى مغرب الشمس.

وكان العرب قبل الإسلام أكثر الشعوب تحيتهم «أنعم صباحاً» و«أنعم مساءً» وقد يختزلون الفعل «أنعم» فيقولون «عم صباحاً» و«عم مساءً» أو «عم ظلاماً» وهذا في الجاهلية التي سبقت الإسلام بقليل، أما ما قبل ذلك فلا نعرف ما كان لهم من تحيات، ومن تحيات الجاهليين القريبين من الإسلام ما جاء على لسان شاعرهم في تحيته للجن الذين زعم أنها زاروا داره، فقال:

- أتوا داري، فقلت: منون أنتم؟

فقالوا: «الجن»، قلت «عموا ظلاماً».

«منون أنتم؟» أي «من أنتم بجمع»

«من» الاستفهامية جمع مذكر سالم، وهذا وجه عجيب.

وكذلك كانوا يحيون الأماكن العزيزة إعزازاً لأهلها الأولى فارقوها وهذا يدخل في مناجاة الأطلال ونحوها من أغراض الكلام، ومن ذلك يقول امرئ القيس:

- ألا عم صباحاً أيها الطلل البالي وهل يعمن من كان في العصر الخوالي

وقول زهير أيضاً:

- فلما أتيت الدار قلت لربعا ألام صباحاً أيها الربيع واسلم

وقول شاعر آخر بصيغة أخرى:

(ألا يا اسلمي- يا دارمي- على البلى) ويلاحظ أن «السلامة» والسلام - تحية الإسلام - قريبان من لغتنا

لفظاً ومعنى، ثم إن السلامة تقتضي البقاء أو الحياة، وهذا أصل معنى التحية، والحياة والتحية قريبان المقصود منها.

كذلك لفظاً ومعنى. وكانوا يحيون بعض ملوكهم بقولهم للملك: «أبيت اللعن» أي برئت من فعل ما تلام عليه، أو أنت فوق اللوم أو الذم، كأنه مقدس، أو فوق الحساب، وقد كبرت أدعية بعضهم لبعض بما هو سيئة بالتحية، ومن ذلك قولهم «خلال ذم، أي عوفيت من فعل ما تدم عليه، ولا تبعد» أي عشت أو دمت. ويلاحظ أن هذه التحيات و(أجوبتها) في كل الجماعات - حتى التحية الإسلامية - تحية وأمنية معاً. فإذا قلت لغيري «صباح الخير» أو «نهارك سعيد» أو «طاب وقتك» فمؤدى ذلك تمنى الخير له، وكذلك «السلام عليك» فمؤادها تمنى الخير له، وكذلك «السلام والسلامة» له، أو أنا في سلام وسلامة معه، وإن لم يظن كلانا إلى ذلك، لأن معظم الناس ينطقون التحيات ونحوها وفقاً للعادة دون تأمل والتحية الكاملة في الإسلام هي «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته»، وكذلك كان النبي يحي أصحابه فيحيونه، ويحيونه فيحييهم، وقد يكتفي في التحية بالسلام، أو مع الرحمة ويظهر من حديث رواه الطبري أن النبي كان يفضل رد التحية بخير منها، وإن رضي الجواب بمثلها ويستشهد بالآية الكريمة (وإذا حُيِّتُم بِتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها) والآية القرآنية تجمع آداب التحيات في الإسلام سواء كانت التحيات قولية أو عملية. وأما الجواب بالمثل أو ما هو خير منه فبقدر الاستطاعة، ولكن لا بد من تقدير الموقف والعرض، وقد جرت عادة كثير من المسلمين في بلاد كثيرة ولا سيما غير العرب - استعمال تحيات محلية متداولة بينهم بلغتهم وهي تؤدي معنى مثيلاتها «صباح الخير» و«مساء الخير» المنتشرة في جملة الشعوب قديماً وحديثاً، وقد عرفنا ذلك قراءة ومشاهدة، ولم نسمع إنكاراً من أحد، ولا نعرف سناً للإتكار، والآية الكريمة قد وسعت على المسلم، ولا حاجة بالمسلم أن يجرع غير المسلم ما لا يرضاه من التحية، والآدأت التحية إلى عكس المقصود منها.

البؤساء

- ٤ -

في ظني أن رواية البؤساء لفيكتور هيغو منجماً لأبعاد أدبية وفنية كثيرة ومتعددة الجوانب، لكن أبرزها هما البعدان الاجتماعي، والفني، ففي الجانب الأول، البعد الاجتماعي، اشتملت (البؤساء) على كل سراني ود أهل فرنسا أن يروه بأعينهم وأن يلمسوه بأيديهم، وأن يروا كل ما هو سلبي وهو يتحول إلى إيجابيات حلموا بها، لقد تحدثت البؤساء عن السجنون كلها، أي لم توقف الحديث على السجنون التي يدخل إليها أصحاب الجنايات، وإنما تحدثت عن سجون من نوع آخر، حين تطرقت إلى الحديث عن الأديرة، وأمكنة العبادة التي يدخل إليها المرء، ذكراً كان أم أنثى، ولا يخرج منها حتى بعد موته لأنه يدفن فيها إذا ما كتب وصية بذلك، وإن خرج يخرج ميتاً ليدفن في مقبرة خاصة هي أيضاً شبيهة بالسجن، وتحدثت الرواية عن الأطفال اللقطاء في مدينة باريس، فقالت إن الاحصائيات تشير إلى أن حوالي (250) طفلاً تقبض عليهم النهارات الباريسية الطالعة في كل صباح، وأن هؤلاء يشكلون مشكلة كبيرة لأنهم يكبرون ومن دون رعاية أسرية، من دون معرفة الأبوين، ومن دون أن يتناولوا أي جرعات عاطفية تشدهم إلى الجذور الاجتماعية، والعادات والتقاليد، إنهم يكبرون وهم لا يعرفون شيئاً عن التربية الاجتماعية وما يلحق بها من تربية الانتماء إلى المجتمع والوطن في آن، إنهم كائنات هوائية، ورخوة، ولا تعرف الصلابة الاجتماعية، إنهم أشبه بفتران رميت في متاهة كثيرة الدروب، كثيرة الالتواءات، وكل خروج منها هو وهم، وكل مطاردة فيها هي وهم، وكل غاية مرجوة منها هي وهم أيضاً، كما تتحدث البؤساء عن الدوائر المغلقة التي يعيش فيها رجال الدين والراهبات، والأنظمة الصارمة المفروضة عليهم جميعاً بوصفها التقاليد التي لا تحتل أي مساس أو خرق أو تجاوز، ولعل الصورة الأوفى لهذا تبديده لنا الصفحات التي تتحدث عن جان فالجان الذي سقط في حديقة عامة من فوق سطح بناء تسلقه هو والطفلة (كوزيت)، والحديقة كانت تابعة للدير المغلق على نفسه، وما من رجل فيه سوى (فوشلفان) الذي يعمل كل شيء تحتاج إليه غرف الراهبات، وكل شيء تحتاج إليه الحديقة، بل هو صلة الوصل ما بين الدير ومحيطه الخارجي. جان فالجان الذي أشبهه بالمصباح الكاشف عن أسرار الأمكنة التي يلجأ إليها، والكاشف عن أسرار الشخصيات التي يحاورها، في هذا المكان المغلق تحدثنا (البؤساء) عن صرامة القوانين والأوامر ذات الصبغة الدينية التي تعيشها الراهبات، فالأجرام التي تفرق على نحو متقطع، وفي رنات متلاحقة أو متقطعة هي التي تشير إلى ما يحدث في الدير، وهي التي تجهر بالنشاط والطلبات داخل الدير لأنها أوامر ومواعيد وذواكر، وهي التي تتحدث وتطلب وتأمّر وتقول نيابة عن الراهبات، والرجل الوحيد في الدير (فوشلفان) يربط إلى إحدى ركبتيه جرساً رناناً، يظل يجبل كلما تحرك، والجرس يقوم بدور المنبه المزدوج لـ (فوشلفان) وللراهبات، وحيرة المرء تتجلى حين يتساءل: ما فائدة هذا الجرس في عالم مغلق، بل ما فائدته في عالم كل شيء فيه مغلق، فالراهبات كائنات يمشين بالبعد الأخلاقي، وما من انكشاف لهن ولو في حالات الحلم، والسرانية تكاد تلف كل حركة من حركاتهن، ومع ذلك يظل جرس (فوشلفان) يرن تنبيهاً له من الحذر والتقاعس والاستسلام للنوم، وتنبيهاً للراهبات بأنه قادم إليهن أو أنه قريب منهن! وتحدثنا (البؤساء) عن هذا المكان بوصفه مكاناً مغلقاً حتى على الأرواح كي لا تفكر بما هو دنيوي، ولهذا فإن القطيعة ما بين الدير والمجتمع هي قطيعة أشبه بالبرتر أو الموت، لهذا تنتقد (البؤساء) كل الأمكنة المغلقة من خلال تسليط الضوء على ما يحدث فيها، وقد نجحت (البؤساء) في تصوير هذه العوالم المغلقة، ولا سيما السجنون، لأن ما يحدث فيها مخيف، ويطوي المشاعر الإنسانية، بل لا يتعامل مع السجناء بوصفهم كائنات بشرية، إنها تقول، الرواية، واصفة الناس في السجنون والأديرة: هنا، في السجن، ظهور السجناء محتبة بسبب الأشغال الشاقة، وهناك، في الأديرة، الظهور محتبة أيضاً بسبب تخليص هذه الأجساد من كل علائق الحياة الاجتماعية الخارجية التي يعرفها المجتمع، فما من أحد يفكر بشيء خارج عالم الدير، فالتفكير مشدود إلى الاستقامة طلباً للتطهر من كل أدران المجتمع وتشوهات، بينما السجناء لا تفكير لهم سوى التفكير بما هو خارجي كي يغادروا هذه الأقبية المأوى بالرطوبة والهواء الفاسد والأفكار السود من جهة، والمحشدة بالخوف والقلق والأسئلة الثقيلة والأحلام التي تحببها يقظة السجنانين، وكثرة الأبواب، والمتاهات التي تعرفها السجنون من جهة أخرى!

جان فالجان في البؤساء أشبه بالنور الذي يري القارئ الظلمات المحوشة التي يعيشها الناس في الأديرة، والسجون، والأديرة، ولأن الحديث عن الأديرة له حساسيته الدينية، فإن قارئ هذه الرواية البؤساء وهي في تمامها الآن من دون حذف أو زل، يدرك أن يد الاصطفاء كانت قد حيدت كل ما قيل سابقاً عن الأديرة، وفي ذلك نغمة واضحة، لأن هيغو أراد الحديث عن عالم الأسرار في الجزر الاجتماعية المعزولة داخل المجتمع الكبير، ومنها الأديرة، والسجون، والأديرة!

وعدا عن هذا، أرادت (البؤساء) الحديث عن تربية الأطفال الذين هم المستقبل، فأشار إلى اللقطاء مرة وما يتعرضون له من سوء تربية وعدم اهتمام، وإلى الأطفال الذين لا يعيشون حياة عاطفية صحيحة لأنهم بعيدون عن أهلهم لأسباب كثيرة ومتعددة مرة أخرى، وإلى الأطفال الذين يغادرون المدارس باكراً ومن دون رجعة إليها، وهم لم يتذوقوا الطعوم الحلوة للمدارس وكتبها وعلومها، وكل هذا يشير إلى مشكلات مستقبلية، فعدم تربية الأطفال التربوية اللائقة ستأخذهم إلى تلك الجزر المغلقة بحثاً عن حياة اجتماعية وإن كانت قاسية وصعبة. وقد أفلحت الرواية (البؤساء) حين قرئت على نحو جيد، في أنها أحدثت تغييرات شديدة الأهمية في المجتمع الفرنسي، بعد أن صارت حديث الناس لأنها رسمت مفارقات كبيرة جداً بين الريف والمدينة، وبين حياة البشر في السجنون وحياة البشر في خارجها، وبين الحياة في الكنائس والحياة في الأديرة، فالريف، الذي هو رثة الاقتصاد الفرنسي، يعيش بلا طرق جيدة، وبلا نقل، وبلا عادات وتقاليد صحيحة، وبلا أسئلة عن الرفاهية والعيش الكريم، والسجون هي أشبه بالمقابر، أو قل هي أشبه بالعالم السفلي، وقد كان الحديث عن السجنون مدعاة للحديث عن القضاء والقوانين وأصول المحاكمات، والجرأة العمياء التي تأخذ الأبرياء إلى السجنون بالقسوة الكاملة، مثلما كان الحديث عن السجنون مدعاة إلى التفكير بتحسين شروط الحياة داخلها، وجعلها أمكنة للإصلاح لا لتدمير الأجساد والعقول والأنفس، وكذلك هي حال الأديرة حين صار الحديث عنها يدور في البيوت والمدارس وداخل الكنائس والأديرة نفسها من أجل أن يعيش أهلها الحياة التي لا تضارق طهارتها، والحياة التي يرجو أهلها ما يسر في الحياة الأخرى. عدا عن هذا كله فإن الرواية (البؤساء) أشارت إلى أمر جوهرى آخر وهو أن الإنسان الناجح، ذكراً كان أو أنثى، في الريف، أو في السجن، أو الدير، من الممكن له أن يكون ناجحاً وأزدي في مجتمع مفتوح واسع لأن آثار نجاحه ستكون روحاً شمولية تلف الجميع وتسعدهم.

(البؤساء) ومن الناحية الاجتماعية، كانت مدهشة لكل فرنسي قرأ ما فيها لأنها فتحت العيون على هذه الأمكنة المغلقة، وما يحدث فيها، فكانت الصرخات المنادية بالعدالة والرحابة الإنسانية أوسع وأكبر من الأفواه التي أطلقتها، ولعل هذا ما خلد هذه الرواية، وجعلها النص الأدبي الذي لا تنفذ جمالياته مع أن جوانب كثيرة منها باتت اليوم تاريخاً ليس إلا.

رابعة الورد . . الشاعرة الفارسية ! قراءة في ديوان (عال هذا السرج) للشاعرة السورية سعاد محمد

• رشاد أبوشاور

وجه شاب متوتر، ودموع غزيرة تسيل من عينين متعبتين محتقنتين.. ووجه قسماته متشنجة، وصوت متكسر مضجوع:

أنا ممرضة، أحب عملي.. ولكنني استقلت اليوم من عملي.. لا توجد وسائل حماية في عملنا.. لاشئ، ونحن سنعمل مع مصابين بالكورونا.. ثم ستعود إلى أسرنا.. وسنحمل لهم العدوى.. أنا اضطررت للاستقالة من عملي لأنني لا أريد لأسرتي أن..

وجه شاب ينضح بالطيبة، وجه ممرضة اختارت عملها بوعي.. ويحب، ولكنها اضطرت لتترك عملها، لأنهم في المستشفى لا يؤمنون للممرضات والمرضى احتياجاتهم مما يتسبب لهم ولأسرهم بالهلاك..

قبل أيام، في بداية أخبار تفشي الكورونا في العالم.. وقف ترامب منتفضاً.. معلناً: صنعنا صواريخ بسرعة خمسة أضعاف سرعة الصوت!

ولكنه، مع ذلك، لم يؤمن للممرضات والمرضى ما يصون حياتهم.. والمستشفيات للمواطنين الأمريكيين في كل أرجاء الإمبراطورية الأمريكية.. وللمرضى أجهزة تنفس، وأقنعة وقاية، ومطهرات ومعقمات..

الإمبراطورية لا تؤمن العلاج لكل مواطنيها، فمن يأتيه دخل كبير يمكن أن يشترك مع شركات علاج.. ومن ليس معه المال للشركات.. فليمت!

لا حقوق للإنسان في نظر قادة الإمبراطورية.. فالأولوية للاقتصاد.. وصناعة أسلحة الإبادة لمواصلة العريضة على شعوب العالم.. ودول العالم.. ومستقبل العالم..

هذا الفيديو عن الممرضة الأمريكية المنجوعة بإهمال مؤسسات دولتها العظمى لها ولزملائها.. فجح الممرضات في الأردن.. وأنا عرفت هذا من ابنتي زينب.

زينب ممرضة، ماجستير ترميز من الجامعة الأردنية بامتياز.. وعشرة أعوام عمل في مستشفى الأمير حمزة.. وزوجها ممرض منذ خمسة عشر عاماً في مستشفى الأمير حمزة..

تعاطفت ممرضات المستشفى الأردني مع الممرضة الأمريكية، وأدهشن أن مستشفيات أميركا لا تؤمن وسائل السلامة للعاملين في القطاع الصحي.. ويكين لبيكاتها.

قالت زينب لنا بعد أن أرسلت الفيديو لي ولأمها: بكي.. لأنني ممرضة مثلاً.. فهي أختي في المهنة النبيلة.. ولي أسرة أفكر في سلامتها.. نحن في بلد فقير، ولكن كل شيء مؤمن للممرضات والمرضى.. وصلنا وجبات أثناء دوامنا.. لجميع العاملين في المستشفى، من الطبيب إلى عامل النظافة..

انتبهت لدموع زوجتي وهي تتأمل الفيديو من جديد.. قلت: إنها تفكر في زينب وطفلتها؛ ميرا.. وماسة.. وزميلاتها.. وسلامتهن وأسرهن.

أما أنا فكانت أتساءل بحزن وغضب: كيف ستعيش هذه الممرضة بعد تركها لعملها؟!

ترامب: قبل تطوير أسلحة الإبادة: أمن مستشفيات للأميركان.. وأقنعة وأجهزة تنفس ووسائل تعقيم للممرضات والمرضى.

ترامب: أما شاهدت فيديو هذه الممرضة - هي ليست من العالم الثالث-.. أما شاهدت تظاهرة العاملين والعاملات في القطاع الصحي في نيويورك احتجاجاً على عدم توفر احتياجات المستشفيات.. والعاملين والعاملات فيها؟!

ترامب: نحن لا نكره الأميركيين.. فدموع الممرضة الأمريكية أبكت كثيرين في بلادنا التي تعاني من لؤم وانحياز إدارتك المتصهينة.. وعدوانيتها.

ترامب: اذهب أنت ويوميو.. وبقية عصابة المتصهينين مصاصي الدماء.. إلى الإحيم.



غواية، تُفرض على وسادتي / خرز الأنين / وهممة غيمة جانحة / تقضم كتف الجبل القريب" (!)

لقد بدت هذه ال (سعاد محمد) الشاعرة هنا كمن يحاول استعادة تشكيل إحدى قصص الأطفال المحببة، عن عشق الأمراء والأميرات الخالية من مشاهد البؤس ومتاعب البحث عن أسباب العيش الهائلي، مقتبسة من القرآن الكريم جزءاً من قصة النبي الكليم (موسى) عليه السلام، عن عصاه التي أخبر أنه يهش بها على غنمه، لكنها إذ أكدت أنها (رابعة ورد) جعلت من ضحكاتها بديلاً بانغ العمق الدلالي على اشتراكها مع بسطاء الناس المتقدم ذكرهم في النص السابق، الذين لا يملكون غير رفوف طيور الأحلام وما تشيخه فيهم من أوها، وسيلة لمواجهة ظروف معيشتهم الصعبة، فهم وهي إنما يمتنون فرساً واحدة زمامها الشعر، وهي من بينهم- تحديداً- من ملك الجرأة على مخاطبة الأمير المفترض لكي يلملم (خيالة) غزله التي ستقاطع هنا بالذات مع فرس أحلامهم!

غير أن هذا التقاطع لن يدوم طويلاً، إذ سرعان ما ستخبرنا الشاعرة - الفارسية في نصها التالي (عشق)، بأمر تجعلنا نعيد النظر في أمر التقاطع، ونعاود تأكيد ما بدأنا به قراءتنا لديوانها بشأن الفرسين، بقولها في مفتتحها: "لي في الغيب حبيب / إن أخضرت ضحكته / غزلان روي تهرع إليه"، وقولها في ختامها مخاطبة حبيبها الغائب نفسه: "حين يبقع على نافذتي وجه الفجر / ويعدو بخور أمي في الطرقات / أخلع ابتسامتي لتراتح قليلاً / أحتاجها غداً / ألوح بها للعابرين: إني مازلت بخير / ألبس غيابتك وأدفن وجهي في الوسادة" (!). ... لتشارك (بخور) الأم الذي خبرنا فعله في نص (خبر عاجل) السابق، العدو بشجاعة وعنفوان في طرقات الحياة.

النوم، كثيراً، هذه الأيام...، وتروي لنا شيئاً عن الشهداء، وقد قامت بينها وبينهم "حدود تمنع وصول المعونات العاطفية / لعدم موثوقية موالاة الفرح"، وتستظل: "تحت أزيز الشوق / أترصد بوابة المطر / أفتق ذاكرة الحلم / وأرتجل غابة اشتاء / أسبح بها غريبي / عن عيون خريف محارب"، ستكون دمشق العزيرة حاضرة في النص الرابع عشر (جلالة دمشق). بدءاً من العنوان الجميل الدال على أعلى مراتب الاحترام والتقدير والتعظيم، إذ سميتها بهذا اللقب الخاص المرتبط بالملك دون سواهم، وستخاطبها سعاد بأجمل ما في الشعر من مداليل ظاهرة ومغيبية على عمق الارتباط الروحي بينها - هي الشاعرة - وبين دمشق: "... يا دمشق / كل المدن تجترح المعجزات لتذكر / وأنت تزورك المعجزات لتكبر /... لا كرامة للدمع / لا كرامة للدمع يا دمشق / إن راود هديك / كل الذين خانوا / أنا يا دمشق.. / أنا الغريبة في خدر النبوءات / جنتك على عجل / غنيتك بخجل / كلما خفق في صدرك الحمام / ونده الياسمين الذاكرة / أذكريني وقولي: / تلك الفينيقيّة بشرتني / أن ذلك البحر، كل يوم / سيهني عائلة"، في إشارة إلى مدينتها طرطوس البحرية الفينيقيّة الجذور.

وإذ ستطلق في نصها الخامس عشر (ملاح 1) تفاصيل حياة يومية مليئة بالعواصف والألام والأشجان، لناس بلدها البسطاء وهو يواجهون المتاعب الحياتية تحت وابل القصف الهمجى وحماقات الغرباء الأشرار، ستجعل من نصها التالي (ملاح 2) ما تعادل به تلك التفاصيل بتفاصيل عن الشعر، وعن روح الشعر التي تعمرها: "... هنا حديقة أقلام تلهج بالأفكار / وركن حساس يقف على خدمتي / حين يزورني الحرف / طاولة تجيد الصمت وترتيب المعاني / غالباً ما تغافلني وتدس سطرين / أوروباً أكثر بعد أن أنام" (!). ثم ستجعل من نصها التالي (غروب) حقلاً مثمرًا بالمزيد من أشجار الشعر وشجونه معاً، هي التي عقدت مع هذا الكائن الساحر وشائج صعبة متينة، حتى راحت تخاطبه: "... يا أمير / لِمَ خيالة غزلك وارتحل عن أرضي القاحلة / درعي صمتي، ورمحي الهزيمة / عاجزة عن ملء خانة من الحياة / أحمل كفن أحبتي وأمشي... / لست سوى راعية ورد يا أمير / أهش بضحكاتي على رفوف الأحلام / لأعود مع المساء / أقيد الوهم على سرير الكلمات / لا شيء يقض مضجعي سوى.. / رمانة

• د. عبد المطلب محمود

شاعروباحث أكاديمي - العراق بعد ديوانها الأول (الغريب)، جمعت الشاعرة السورية سعاد محمد المميّزة بحسها الشعري المتدفق، قصائد ديوانها الثاني (عال هذا السرج)، الذي امتاز عن الأول بأنه ضمّ قصائد زخرت بمحمولات وجع أهلنا في سورية العزيرة، وهم يواجهون تثار هذا العصر من كل حذب وصوب، وكان عنوان الديوان قد منحني فرصة رؤية فرسين يتسابقان على مضمار واحد، بسرجهما العاليتين: فرس الوطن الذي يشاء أن يظل عالياً سرجه، وهو يندفع بتضحيات أبنائه نحو آفاق الحياة بمقابل الموت الذي يراود له، وفرس الشعر الذي تشاء الشاعر أن يظل سرجه عالياً، لكي يؤدي دوره في الحياة المنشودة، ويواصل سباقه فيها مع الوطن، لكن من دون أن يتجاوز أو يتفوق عليه، ما دام يتسابقان على مضمار واحد ولفاية نبيلة واحدة.

في (حياة صورة) أول نصوص الديوان، و(آدم) ثالث هذه النصوص، تبدو لنا هذه العلاقة واضحة تماماً، إذ بينما أطلقت أماننا في النص الأول بعض تفاصيل صورة شهداء بلدها: "ليسوا ميّنين / هم أكثر حياة منّا / يحرسون الحيوان من طباشير التاريخ الكاذبة"، اختارتلثالث أن يرينا لقطات من صورتها - هي الشاعرة - إذ ذكرت: "... لي ودائع طائلة من التماسات القلب / وقصيدة من قميص الغائب / كلما تنشقتها / فقد صبري بصرة"، ثم راحت تخاطبها هذا (آدم) مؤنبةً مُحذرةً: "لا تقامر بي يا آدم / فأنا شجرة التفاح / والله لأردمن بحرك إن رمشت غيري / وكو بمثقال ندى" (!) فهي - مثلما تخفي - أمينة على ودائع الغائب (يوسف ما) بدلالة قميصه الذي صار قصيدة، وقد استعارت من (يعقوب) حزنه البالغ ذاك، بعد أن أحالته إلى تجربة انتظار أخرى لم تذهب بعينيها وحدهما، بل بباصرة صبرها أيضاً كلما تنشقت عطره الآتي من البعيد، وهي - بعد - واثقة من بقائها مثل شجرة التفاح التي ظلت مورقة في الجنة، مثلما ظل الشعر الطالع من قميص الغائب - أحد شهداء النص الأول ربما - يمنحها قوة التحدي وديمومته وعنفوانه في مواجهة الدائرة.

وفي حين ستختار من أجواء ما يدور في بلدها من قتال عنوان (خبر عاجل) لنصها الثاني عشر، وتعلن فيه ببعض المضردات الدالة على محمولات هذا القتال: "كل مطلع بخور / أمي توقظ الوجود ليحرس عصافير الحياة / لكنه يتأخر في

أواخر الأيام

• خديجة حسن

(يقول كارل ماركس: ليس وعي البشر هو الذي يحدد وجودهم بل إن وجودهم الاجتماعي هو الذي يحدد وعيهم.)

رواية (أواخر الأيام) للكاتب عبد الغني ملوك تبين معنى الوجود الإنساني وترى أن الإنسان هو المحور الأصيل الذي يستحيل بدونه وجود قضايا أساسية بالنسبة للوجود.

ومع أن الموضوع ليس غريباً عن المجتمعات العربية إلا أن الكاتب نسج لنا رواية تحملنا معها يوماً بعد يوم وتحفظنا لمعرفة مجريات الأحداث.

تبدأ الرواية بموت شهناز زوجة التاجر الكبير عبد القادر بعد صراع طال مع المرض، وبعد انتهاء مراسم العزاء يقوم عبد القادر بدعوة ولده الدكتور سليمان وابنته قمر الزمان لاقتسام ثروة الأم المتوفاة والتخطيط لمرحلة جديدة تساعد الأب على الخروج من حالة اليأس والكآبة التي حلت به..

عبد القادر- تاجر دمشقي ثري جداً أوصاه والده بعد نجاحه في شهادة التعليم المتوسطة:

(- مبارك نجاحك يا بني ولكن عليك أن تحدد لحياتك هدفاً نهائياً في الحياة، فما هدفك يا عبد القادر؟....

- برأيك يا أبي ما الهدف الذي يجب أن أضعه لحياتي؟

- أن يكون هدفك الحصول على الفانوس السحري أو العجل الذهبي.)

ص11

وبقدرة غريبة أقتعه والده بجملة من المخالقات والموبيقات التي بزرها له والتزم بها هو حتى سن الخمسين ومنها:

- تهريبك من ضرائب الدولة ليس حراماً.

- احتيالك على جمعه ليس حراماً.

- لا مانع من ارتكاب بعض المخالقات بعدها تحج وتعود نظيفاً كما ولدتك أمك

- معظم المناصب تشتري بالمال.

جلس عبد القادر يحاكم نفسه بمونولوج منطقي عقلاني:

”لكن المال لم يشف زوجتي كما بشر أبي، لا أستطيع شراء الحب وأنا لم أعرف طعم الحب في حياتي كلها“.

صحوه عبد القادر المتأخرة جعلته يزور عيادة طبيب نفسي كشف له عن مشكلته الحقيقية:

”مشكلتك أنك لم تقدم شيئاً ذو قيمة لنفسك ولم تقدم لمجتمعك خدمة يذكرها الناس. لم تقدم شيئاً من صنعك. إنك تحتاج

الى إنجاز، لقد برمجت كآلة لجمع المال، وهذا ذنب أبيك. عليك أن تشحن نفسك بالحب، أي نوع من الحب، حتى لو كان حباً صوفياً، كما عليك أن تختار لحياتك هدفاً حقيقياً غير جمع المال“ ص15.

كان عبد القادر يريد التحرر من قيد المال، يريد الانطلاق للحب والخير ومساعدة الناس، لكن ”عباس الداعور“ كان له

بالمصاد.

عباس هو الشخصية الثانية في العمل



الروائي، شخص حقوقه حسود جشع لم يترك موبقة إلا واقتربها، تسلل الى عالم عبد القادر بعد أن عرف بوجعه بكل خبث حتى أصبح شريكاً له في المتجر الكبير، ثم الشركة التي أسسها، ساعده في ذلك قلة الخبرة لدى عبد القادر، وتفكيره السطحي، وكذلك الدور الذي لعبته (نور الصباح) الموظفة التي انتقاها هو للعمل كمخلصة جمركية لبضائع التاجر عبد القادر والتي غرر بها وجعلها شريكته في عملية النصب: ”حتى نصل الى الارض الخضراء لا بد لنا من الخوض في الوحل، حتى نصل الى التطهر لا بد من الاستحمام في عين الخطيئة الحمئة“

وهكذا استدرجت عبد القادر لفعل كل ما يريده عباس من خلال إيهامها له بالحب. تزوج عباس نور الصباح بغدر وخسة بعقد مزور. وفي الليلة التالية لزوجها عرض عليها الحاج عبد القادر الزواج، وقدم لها عروضاً مغرية. وذكرها بوصية والدها التي نسيته (متابعة التحضير للدكتوراه)

ليت هذا العرض، قدم قبل يوم أو يومين يا حاج فقد قطف عباس العسل من القفير ولن تجد سوى رمل وصدف فارغين وتلك اللؤلؤة التي تخيلتها ماهي إلا جوهرة مزيضة لبلور رديء

مرة سأل عبد القادر ناريما عن اخبار سميرة، سميرة درويش التي عملت في قصره خادمة وسرت له بتفاصيل حياتها وزواجها من السجين دباح البقر كانت سميرة ذكية وواعية تقول: ”ليس كل ما نرغبه في الحياة يتحقق، أحياناً تفاجئك الحياة بأعباء لم تكن مستعداً لها، وأحياناً لا قبل لك بها، لكن الله أعطى الإنسان مزية التحمل. أعتقد ان السعادة نسبية...“

وكادت أن تنشأ بينها وبين عبد علاقة حب بعد اهتمام طال بها ووصل لمرحلة تعليمها معه اصول العمل على الحاسوب، واتخاذ قرارها بالتقدم لشهادة التعليم الاساسي يوماً قال عبد القادر:

”الآن شعرت بلذة العطاء وكنت أظن أن اللذة لا تتأتى إلا من جمع المال“ ص؟

حين رفعت سميرة يده لتقبلها بعد ان أفضى كل منهما بمشاعره تجاه الآخر

”ظن انها تريد الغوص في آثام الرغبة

فطوقها من خصرها وشدها اليه بقوة ونزل غطاء الراس فرماها فوق السرير القريب وتنسم من جسدها الغض رائحة الاثارة فاندفع بجنون الرغبة البكر سادراً في غيبه ولاول مرة جرت دماء ذنبية في عروقه متدفقة فألقي بنفسه فوقها ليحتوي جسدها فصاحت بحزم : ماهكذا يكون الحب الصافي المنزه. صاحت بعنف : لا اريد ذلك بالحرام بل بالحلال وبالوقت المناسب. صحا من حلم لذيد فسقط عليه شلال بارد كالصقيع فانطقات النيران وحل غضب وكره فقال : تطمعين يمالي فتراودك احلام الزواج مني انها خدعة حقيرة لن يكون ذلك ابد ! كيف تسمحين لنفسك بذلك؟“ صدمت سميرة وأسفت على أفكار لصيقة به كالجلد كأن ابوه في قبره يحركه كالدمية. لم يكن التغيير الذي أصاب عبد عميقاً ولم تكن قناعاته يقينية عاد الى افكاره القديمة في لحظة صاعقة كأن ذلك التغيير الذي حدث له قشرة سطحية لمعت ثم غابت وبقيت الروح جاهلة.“ ص؟

غادرت سميرة القصر وسط ذهوله وندمه وصممت سميرة وبارادة قوية أنها ستثبت ذاتها فتابعت دراستها ونجحت وأصبحت معيدة في الجامعة. صمدت سميرة رغم كل العواصف التي هبت عليها ولم تنزلق ولم تنهار، عكس نور الصباح التي أغواها عباس وقادها للسقوط في الخيانة والغش والتدليس والغدر وخذلان عبد القادر الذي أحبها وطلبها للزواج، وكانت السبب في اصابته بجلطة دماغية سببت له شللاً في ساقه اليسرى وبعض الشلل في ساقه اليمنى.

سميرة وحدها من واظب على زيارته حتى بعد زواجها من القاضي.

رواية ”أواخر الايام“ رواية واقعية تلح على اهمية العلاقات بين الطبقات الاجتماعية المختلفة وعلى أهمية العوامل الإنسانية والاقتصادية والأخلاقية في بناء الانسان. تأتي جمالية الرواية من كونها عملاً محكماً مرتبطاً بالمنطق والعقل وجمالية الوصف المرافق لتتابع الأحداث فهو في بداية روايته يصور لنا القصر والحديقة المحيطة به وعرائش الياسمين. كل هذا الوصف الشعري يأتي مرافقاً للحديث

عن وفاة ”شهناز“ اذن هناك حدث مضمحل حدث يشير الى مفارقة كبيرة، حزن وجمال- ضياع واستقرار- غربة وانتماء- نهاية وبداية.

لقد نجح في رسم فضاء البداية رغم تسميته الرواية (أواخر الايام) تداخل السرد لدى عبد الغني ملوك مع الوصف للمشاعر (تناهرها وتقاربها) وصف الماضي الخاص بعبد القادر والذي أوصله الى هذا الحد من الكآبة..

يبين لنا الكاتب أن انفصال الذات عن العالم الخارجي يعني أن هذه الشخصية لا تمتلك ما يسميه ”لوكاتش“ بالنظرة الى العالم وهذه النظرة إلى العالم هي الشكل الأرقى للوعي وهي نتاج التجربة الشخصية

العميقة التي يعيشها الفرد بل هي أرقى تعبير يميز ماهيته الداخلية (شخصية عبد القادر) وهنا نجد تعمق الكاتب في علم الاجتماع والخبرة الحياتية فكانت الرؤية المعرفية للكاتب عاملاً أساسياً من عوامل نجاح بنية الرواية التي تحتوي داخلها على عناصر بناء وتحطيم بالوقت نفسه تحطيم لكثافة الحياة المصورة (الديمومة) كعادات وأفكار عبد القادر وكذلك صحوه نور الصباح واعترافها لعبد بخياناتها المتعددة.

وبناء في نفس اللحظة، رغبة عبد بالتغيير، ومتابعة سميرة ونور الصباح دراستهما. وهذا أمر يحتاج الى فهم قادر على التغلب على خبث الواقع أي رؤية جوهري الانسان الفاعل وغير الفاعل في المجتمع.

الرواية متلاحمة حول الكاتب التناقضات الموجودة بين شخصها الى كلية سردية متناغمة سلسة. يؤمن الكاتب أن الواقع قابل للتغيير بحرية الإرادة وقوتها ويرى الواقع في مستقبله. يصور البؤس ويدعو للتخلص منه، كما تستطيع أن تتلمس في الرواية ضجيج السوق وصخب الروح وأن ترى العضلات في الصراع الخفي بين الطبقات الاجتماعية، فالواقع فرض مشاكله على المثقف المعاصر ونتيجة وعيه بدوره الاجتماعي ونضجه الفني معا.

تأتي أهمية الرواية من صدق مضمونها العام وصلتها الوجدانية بالشعب والتحرر من قيود السرد والنزوع الى اغناء المونولوج الداخلي والتصوير، وطرح واكتشاف عوامل التغيير داخل الفرد، ثم إبراز التناقضات وتضجير الصراعات المخفية بين الاشخاص. كما تتجلى أهمية الرواية في معرفة الكيفية التي تتجسد فيها القضايا الاجتماعية والاقتصادية والمصالح الفردية والجماعية.

عندما يتذكر عبد أكثر من مرة وصية والده له ”المال هو الفانوس السحري الحقيقي“، ندرك أن الكاتب يريد لفت انتباه القارئ لخفايا النص او الجزء المسكوت عنه في مجتمع يغرق بالفساد والمفسدين.

ينظر الكاتب الى الواقع من خلال أربعة محاور دلالية كبرى هي الموت- الرغبة- التطلع- الارادة- لكنه يتوق لتحرير الواقع من الوحشية وصلابة العقائد وجمود العواطف.

يكتب ليحقق أنه الاجتماعي والحقوقية في أفق أبيض رحب وحر فهو يقارن بأمانة بين المظهر والجوهر ويكشف الفروق بين الصفات الشخصية وما يحركها من دوافع وغرائز. ومن هنا جاء تصنيف الرواية بانها واقعية اجتماعية تقوم على تصنيف البشر في ضوء وجودهم والنظر الى الواقع من جهات مختلفة وهنا يظهر وعي الكاتب المعرفي الوجداني والقيمي الذي يشكل وعي العالم.

إن الكاتب عبد الغني ملوك نجح في صنع خميرة لمستقبل مختلف وجميل لشخص روايته.

ويتبدى الانغلاق في اكتمال الرواية وانتهاء النص نهاية صريحة.



1

مررنا ببيروت ذات مساء
وكانت رياح الشتاء
خناجر

والثلج يطبق فوق المدينة كانسر
من نصف قرن وأكثر
في فندق دون تدفئة
أو فطور
مكثنا سويجات
في ساحة البرج
عدنا بعيد الغيب . !!

2

ساحة البرج ملاذ
وفضاء مشرق
باعة المفرد
صحن الفول
بسطات الرصيف
البنسيون
الشاي
كان الوقت قد فات ولم ندرك سوى
أصداء بيروت ..

رجعنا
نام كل الباص من برد
وظل الثلج يساقط ،
يساقط

يساقط

يساقط

3

لم أعرف بيروت
ولم أشرب فيها كأساً
ما غازلت امرأة
لم أنشر كتباً
أو أجلس في مقهى أو بار في الحمرا
ظلت حلما من خرف
ظلا في أقبية الذاكرة المنسية .

4

صدفة مكسورة كانت
وظلت رغبة مبتورة أن ألتقي بيروت
ظلت رغبة
حلما بعيدا حائرا
حتى توارى .

حلم يرحل مرات ومرات إلى الظل
ويخبو مثل أحلام السكارى .

5

أعرف بيروت ..
ولا أعرفها
ظلت طيوف من رؤاها العابرة .
حائمة في ظل أنقاض الحكايات
وتيه الذاكرة .

هي ما يشبه وجهها غائما في لوحة مشقوقة
قابعة في مخزن المتحف
أو أغنية متربة تاهت بقرص مدمج
مرأة لم تنتظر إليها امرأة منذ سنين .

لكنني أعرفها

أيقونة الشرق

وقنديل العرب .

حتى إذا فجرها الحقد على بوابة الميناء
فز القلب من غيظ

وتاه الحلم كالمجنون في وسط اللهب .

أعطيك كل محبتي ...

• صالح هوارى



قولي الصحيح...

تسجعي... هل أنت راضية معي!!

إن كنت راضية فريدي في دلالك وأطمي
وإذا حملت لك النجوم على يدي لا تقنعي
عندي الكثير من الأمان... فأقضي وتمنعي
سفني محملة بأغلى ما جنيت.. فأسرعني
من توت أحلامي خذي.. وعلى الطيور فوزعي
إن غص قلبك مرة بسفرجلي لا تفرعي
هذا ارتباك مشاعري عند اللقاء الممتع
لو لم أحبك حب نسر للمكان الأرفع
ما كنت ساديا أعذب من ينام بأضلي
أنا لأحبك خاتما مستسلما في أضبي
أهواك دمة فرحة وقفت لتمسح أدمعي
أو غيمة أعلو بها فوق الفضاء الأوسع
أنا لأعب الكرة الذي قطف النجوم ولم يع
أهوى المفاجأة التي تأتي بدون توقع
ولذا... فأهدأ في نجيء بوقتها المستقطع

قد لا أفي يوماً بوعدي أو أفي فتوقعي
مني خصاماً حامياً قد لا يلبق بموقعي
وعليك ألا تسمعي ما قلته.. أو فاسمعي
إن طالبتك بوردة شفتاي لا تتمنعي
طير العناق يموت إن حرّمه ماء المنبع
بالحب متهمان أنت أنا... على من ندعي!!
أعطيك كل محبتي ((إن تحلبي ضاي معي))



رتيبة هي موسيقاك

• رجاء علي



رتيبة هي موسيقاك
أين أصابع الفوضى
تدغدغ مقاصد الروح
تتركني لساحات الرقص
أقطف نجوما زرقاء
أتلوى على إيقاع اللحظة
أرسم جسدي لوحة
من شذا تناثر
من ريشة أصابعك
إذا ما انشقت من عيون السحاب
ذاك البريق
مدني بأساليب اللقاء
لا تبخل
إن قلبي يحتاج فرصة كرم
من أجدبية مليكة أنت
أحببتك
شاركتني فيك عاصفيرا الدار
جداول ماء وأزاهير الخزام
حبيبي
يا حبيبي
دع موسيقاك تهتف لقلبي
أزرع الشوارع سوناتا جنون
الق على ذلك المقعد البعيد
قصائدك البدائية
لعل
مفاتيح اللهفة
وأبواب الليالي
تعصف فيها رياح الحنين

عودة السندباد

• رضوان الحزواني



- 1 -
قريباً يعود من السفر السندباد
ويضي الشتاء
يلملم غيماته الدكانات ويفتر وجه السماء
ويأتي ربيع يجرد ذيول البهاء
- 2 -
وعند الصباح تكفكف عن خدّها الأرض دمع
المطر
فتورق في كفاها القطرات .. وتزهو بنات الزهر
وتضحك ملء الثنايا صبايا الشجر
وتصحو الينابيع تروي اشتياق الظماء
وتجري السواقي تثرثر أنى تحب ، وكيف
تشاء
وتصفي الضفاف لهمس التسييم وبوح القمر
وترقب عود السنونو مع السندباد
- 3 -
تطل من الباب أجلى البدور
تحط الفراشات وهي نشاوى.. وتلمم فغر
الزهور
تضاء المصابيح في الدار ملء العيون
وتمسح أم جفون الحنين ودمع اللقاء
ويحتضن الشيخ تحت العريشة زغب اليمام
- 4 -
هو السندباد يعود وتحلو حكاياه عن عاصفات
السفر
وعن جزر الواق واق ودنيا العجائب شتى الصور
وقصة حوت.. وطائر رخ .. وغول عظيم
الخطر
وتصغي شموع النجوم الوضاء.. ويحلو السمير
وينثر أسراره الياسمين

شاعر وأندلس وليله

• أحمد عبد الرؤوف

أدرت الطرف أنتظر الجوابا
لعل الوهم يهديني إيابا
وما زالت عيوني من بعيد
تراقب من لها ترك السرابا
وأمضي في دروبي في ظنون
تحيل الوصل يا أملي غيابا
كيف أشق في شفتي ابتساما
وأنقى الحب لآح أسى وغابا ؟!
وأسياف تنوش القلب سرا
تظن أمير أندلس تصابي!
وأحلام تمادت في التناي
كأن الليل غرر بي وشابا
غزاتي اليوم لم يبقوا فتوحا
وقد منعوا ربا قلبي السحابا
ومن حرب خسرتها أمير
لثيم غز في الأعناق نابا
وراح اليوم يسلبني دياريا
ويأبى الدهر أن نبذو غضابا
فتوح المسلمين غدت كتابا
تولى من هزيمتنا كتابا
وجاء اليوم يهديني انتصارا
ويخلع من ضلوعي ما أذابا
لما حملتني أقدار قوم
أصابوا في فؤادي ما أصابا ؟!
فتبا للملوك على الانتصاري
وتبا للمنى قتلت شبابا
حنيني للماذن كل فجر
بقرطبة يهاجمني غالبا
وحظي في الجزيرة من هيامي
قصور أغلقت بابا فبابا
لن أشكو هزيمتهم وأمضي
إليهم أنسا أبدو شهابا
لعمد قتيل في اعتماد
أتاه الحب نضيا واغترابا
والا لابن زيدون وعشق
أبي يفضي له حتى عتابا
لن أشكو؟ إلى الرحمن أشكو
وحسبي في الهوى نلت العذابا
فيا أنسام عودتنا أقلي
إليهم حرقة غرست حرابا
سناقاهم وتونسنا الليالي
بشعر لذ في روجي وطابا
ونخبير سادة الدنيا بفتح
يعيدهم ولو صرنا ترابا

الموتى عندما يحلمون

• محمد أبو معتوق



بعد أن ماتت زوجتي بأيام.. رأيتها في المنام.. كانت ملامحها غائمة وعاتبة.. اقتربت من صورتها والظلال الشفيفة التي توهنها.. اقتربت كثيراً وسألتها بغصة وحنين لأيامها.. كيف هي الأحوال عندكم..

فأجابتنى بلغة مصبوطة وواهنة.. مشتاقة لكم.

فقلت لها بخوف: لا تشغلي بالك بنا.. يمكنك تأجيل الشوق لرؤيتنا الى سنوات بعيدة قادمة

.. فضهمت علي وعلى مخاوي من اللقاء بالموت للتقرب منها..

وقالت: مشتاقة لكم ولست راغبة برؤيتكم.. فحياتكم غالية عندي رغم موتي.

فشكرتها بخشية المحبين وسألتها مرة ثانية: كيف هي الأحوال عندكم؟

وتابعت قائلاً لأخضي ارتباكِي. أقصد.. الحياة عندكم معتمه.. ولاكهرباء لديكم مثلنا..

فقلت: هنا لا نخشى من انقطاع الكهرباء كما هو الحال عندكم.. لأن ضوءنا ينبعث من داخلنا..

فقلت: وهل يوزعون عليكم بطاريات مقاومة لوزارة الكهرباء التي عندنا لتصبحوا مضيئين.. أكثر منا.. فقلت: لا أعرف إن كانوا يفعلون ذلك.. المهم أنني أراك وأرى أحزانك التي لا سبيل لتجاهلها

فسألته: وماذا عن ملكي الموت أنكر ونكير.. وهل كانا قساة ومخيفين كما يقول عنهم خزان العقاب والثوب المؤجلة..

فابتسمت ابتسامة مائلة وقالت: لا تصدق كل مايقوله العمومون..

لقد كانا ملاكين لطيفين.. وفي قسماتهما ضوء شفيف..

وكانت أسنلتها لا تخلوا من المرح.. الذي يفتقر إليه الرجال الأمنيون عندكم..

فاستغربت كلامها.. وقلت في نفسي: لا بد وأن الموت يمنح الميتين.. مساحة

من الحرية يسيئ الميتون استخدامها.. وعلى ذلك صرت حذرا في طرح الأسئلة عليها. ورجبت أن أبعدها عن الأحداث المربكة والأسئلة الحادة كأن أسألها عن الأسعار وهل تقفز في بلدنا كما تقفز عندهم.

فابتسمت زوجتي كأنما عرفت بما يضطرم داخلي من أسئلة وقالت: لا تخف.. الأسعار لا تستطيع أن تقفز عندنا كما تفعل عندكم.. لأن الأسعار التي عندنا مية مثلنا..

وخلال ذلك لمحت بواحد دموع من الطرف الغائر لضمها

فحزنت لأمرها.. وشعرت بأن الأسعار عندما تقفز قفزات هائلة.. لتطيح بنا..

هكذا قال حسن لنا.. لا يستطيع الموت أن يوجد بمثله عندهم.. مما يجعلهم في بعض الحالات أكثر حزناً منا.. ومن مصائرنا..

وهكذا حاولت أن أتركها لكي لا أقام بأسنلتي أحزانها.. ولكنها فهمت.. وحاولت أن تستبقيني أطول مدة ممكنة لتلامس بعض الهواء العالق بي لتدفي به عزلتها وذكرياتها..

ثم وبصورة مفاجئة سألتني عن الكورونا الذي ينتشر بيننا.. وطلبت مني أن أحرص على وضع الكمادات على وجه ابنتنا..

وبأنها مكتفية بموتها وقناعة به.. و غير راغبة أن يطال الموت أحداً منا.. حتى ولو تمدد الى جوارها وتمكنت من عناقه والتمرغ على صدره لتستعيد من خلاله.. بعض الهواء الذي يحيي ذكرياتها..

فسألته: عن الكورونا الذي عندهم.. وكيف يتمكنون من دحره

فقلت لي: نحن خالدون.. ولا يقدر أي مرض على دحرنا

.. ثم أغضت.. وتلاشى وجهها.. ومضت إلى سماء لا يقدر أحد على تجلي أبعادها..

بعد ذلك نهضت كأنما كنت غارقاً في لجة..

نهضت وسؤال كبير محير.. يتردد في زماننا.. هل الأحوال عندهم أجدي؟

أم الأحوال عندنا؟

• إيمان مصطفى ليلا

تبحث في الإعلانات الكثيرة التي تصلها يومياً، من خلال الصفحات التي اشتركت بها على إحدى وسائل التواصل الاجتماعي (الفيسبوك) والتي تشعر بالضجر وهي تبحث لكثرة الأسئلة والشروط والتشابه بينها. أه ها هي صفحة جديدة "بدك عمل في أمل" تفتح الصفحة تمرر أصبعها على الشاشة تقلب الصفحة

مطلوب مندوب / أو مندوبية لشركة مواد تجميل العمر لا يتجاوز الخامسة والعشرون مطلوب عامل لورش خياطة.

مكتب استيراد وتصدير بحاجة إلى سكرتيرة العمر لا يتجاوز الثلاثين، الخبرة غير ضرورية حسنة المظهر، غير محجبة، راتب مفر

يا إلهي يطلوبون... استغفر الله تطلب بين الإعلانات

هكذا حالها منذ ثلاث سنوات، كل صباح مع فنجان القهوة، تتكور جانباً ممسكة بالجوال وتبحث، وبفارغ الصبر تقلب وتبحث وتدور ما تظن أنه مناسب على دفتر صغير جانبياً، وبعدها تبدأ رحلة المقابلات

ها هو: مكتب تجاري بحاجة إلى سكرتيرة تجيد العمل على الحاسوب، براتب مفر

راسلتهم. وصلت قبل الموعد بدقائق، مكتب في حي راق، أنيق كل ما فيه يدل على الرفاهية والذوق الرفيع.

استقبلتها صبية فاتنة الجمال شقراء، قامتها ممشوقة، ترتدي قميصاً أحمر قانياً ضيقاً مكشوف الصدر وأكمامه من الدانتيل،

أنا ليلى بخصوص الإعلان، أهلا.. نعم.. نعم.. تفضلي، أشارت لها لتجلس، في مقعد جلدي أنيق مقابل لها

ناولتها ورقة. -قالت ممكن ملء هذه الاستمارة، وتشير بإصبعها النحيل المنتهي بظفر طويل مطل بطلاء الأظافر الأحمر اللامع.

وتقول يفتح بند الحالة الاجتماعية والسيرة ذاتية مختصرة هام جداً،

قرأت ليلى الاستمارة، استمارة تقليدية الاسم واسم الأب، العنوان، التحصيل العلمي / وصلت للبند الهام، لماذا تؤكد عليه؟

وهو الأهم!! يبدو أنهم سيتفهمون ظروف المتقدمة ويتعاطفون معها.

أأاه ماذا تقول؟ ماذا تكتب؟ هل من الضروري أن تفتح خصوصياتها وهي أغلقتها جاهدة لتستطيع الصمود في وجه هذه الظروف القاسية،

كل إنسان بحاجة إلى العمل.. أم عليها أن تشكي وتستعطف

الأهم الحالة الاجتماعية! هل تكتب متزوجة؟ مطلق؟ لا أنا لست مطلقاً.

معلقة!! تكتب ملخصاً عن حياتها التي غررت في لحمها آلاماً وجراحاً لم تندمل بعد.

يرن جرس الهاتف.. تجيب السكرتيرة. ألو.. نعم.. أهلا.. تضحك مرة، ومرة تهمس بكلمات غير مفهومة لتعود وتتكلم بغنج حسب ما يأتيها الرد من المتصل تتحدث بدلال فائق.

يا إلهي هل هذا هو العمل؟! لا.. لا أعتقد يبدو، مطلوب أن تجيد العمل على الحاسوب، بالنهاية لكل عمله.

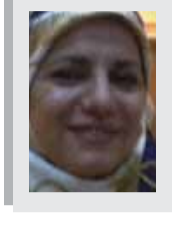
تعود إلى الاستمارة الحالة الاجتماعية، هل تكتب معلقة..!! خرج ولم يعد...!!

قصة حب دامت ثلاث سنوات، وتكلت بالزواج ممن تحب شاب وسيم يكبرها سنوات قليلة، زميل الدراسة، كان استاذها ومرجعها في كل شيء، تقاسما الحياة بجلوها ومرها. رغم اعتراض الأهل إلا أن حبهما انتصر.

شق طريقه وحقق له أحلامه، بينما انشغلت هي بأمر البيت ولاسيما بعد أن أنجبت ابنتها ولم تكمل دراستها، أخبرته أنها حامل وتشتهي الجلوى، خرج لشرائها، ومنذ ذلك اليوم لم يعد، ثلاث سنوات لم تترك باباً إلا وطرقته، لا مجيب ولا خبر.

هذا حال الكثيرات في هذه لأزمة استشهد من استشهد، وخطف من خطف، أرامل مطلقات، معلقات، وهي لا تعلم

أعلى سعر



مثل أي منهن تكون. انجبت طفلها الثاني واسمته فرج لتنتفأ قليلاً ماذا تكتب معلقة، زوج خرج ولم يعد.. خطفه اراهابيون، لديها طفلان بحاجة إلى الغذاء والدواء و.. ولا مورد لنا،

أنا بحاجة ماسة للعمل، عمري ينفلت من بين أصابعي، وينساب شبابي وأقاوم ضعفي ولا استسلم.

رفعت رأسها وجدت السكرتيرة تقف عند النافذة تتأمل الشارع وهي تنفث دخان سيجارتها.

قالت في سرها الحمد لله لم تطلب الاستمارة بعد.

كان باب المكتب المقابل مفتوحاً لا يشغله أحد مكتب صغير وعليه حاسوب.

__ ابتسمت وقالت في سرها يا رب تكون الوظيفة من نصيبي، وهذا مكتبي، المكان جميل وأنيق، هادئ، يطل على حي راق، يعطي الراحة، والأمان، والتكيف أعطى جو ومنعش بارد، أنساها ضجيج الحي الذي تسكنه والحر الشديد خارج المكتب.

يا للفرابة مكان مثل هذا وإعلان أعتقد أنني سأجد المنافسات كثيرات، تزحف عيناها على الاستمارة من جديد، وكتبت متزوجة، وزوجها اختفى في ظروف غامضة، ولديها طفلان، بحاجة لمن يعيلهما، انتهت الاستمارة وكان حملاً قليلاً كان على ظهرها.

أقلت نظرة سريعة على الاستمارة، وناولته السكرتيرة، حملتها الأخرى بدورها وراحت تتمايل بالجينز الضيق بغنج ودلال، غابت حوالي عشر دقائق ثم خرجت لتأذن لها بالدخول، وهي تعيد هندامها وتبتسم ابتسامة صفراء.

مكتب فخم، يجلس وراء الطاولة رجل يبدو في نهاية الخمسين من العمر، نظر إليها بإعجاب فائق، وسأل بجدية ماذا عن اللغة

قالت: لا بأس.

هو: مممم يعيد النظر إلى الاستمارة زوجك اختفى منذ سنوات

تجيب بارتباك.. نعم

- هل ما زلت تحبينه، فاجأها السؤال، أخذت تعدل من ربطة حجابها.

ضحك بصوت عال، ما بك اجلسي هناك وأشار إلى كرسي مكتبي أمام طاولة الحاسوب، اكتب مرحباً حبيبي، فاجأتها الجملة وتفاجأت أكثر بوقفه جانبها.

كتبت، التفتت إليه كان رجلاً مختلفاً بدا أكبر سناً، نحيل وقصير

- احفظي الجملة بملف وأعطيه اسماً.

وبينما تنفذ المطلوب، اقترب أكثر، من الكرسي ووضع يده على المسند، وخفض رأسه وجعل فمه عند أذنها

وقال: أنت جميلة جداً، وما زلت شابة، خسارة أنتكون هكذا حياتك.

- عفواً ماذا تقصد؟

سأوافق أن عملي هنا وسأعطيك أعلى سعر تطليبيته، محاولاً الصاق الكرسي بالجدار، انتفضت كمن لسعها عقرب، وابتعدت

- استاذ!! تابع: ليكن أربعون ألفاً مبدئياً، يتحدث وكان شيئاً لم يكن.

- أجابت: رخيص جداً..!!

بحلق عينيته، بصقت على الأرض، قائلة هذا أعلى سعر لك، ففتح الباب كانت السكرتيرة بالمقابل منشغلة بإعادة مكياجها وتسريحة شعرها.

الآن عرفت سبب عدم وجود المناقشات، حثت الخطى مسرعة، بلحظات كانت في وسط الشارع، تبكي من زمن مُر، صعب، أصبح الرخيص بأعلى سعر، يرن جوالها، تمسح دموعها، تنظر رسالة جديدة من مجموعة "بدك عمل في أمل"، تبحث من جديد.

مملكة الماء والنار

٢ من ٢

• محمد جمعة حمادة

والأعراق الإنسانية، بحيث يحفظ شعلة الصدر متقدةً، ويملاً معدة الحب السامي لترضي إله الحرف والموقف السموءلي الأحد، الأوحده.

مجموعتها الأولى صدرت وهي في سن الخامسة والأربعين، أين كانت من قبل، ماذا كانت تفعل؟ ومن أول شاعر قرأته وقادها إلى طريق الشعر، وبمن تأثرت من كتاب وشعراء؟ تقول: بعد تزويج ابنتي الكبرى، واقترب تخرج ابني عمر طبيباً من روسيا، خفت أعبائي الذهنية كثيراً، كنت متفرغة للبيت والأولاد والزوج، بعد السببين اللذين ذكرتهما خصصت منى وقتاً لروحها واهتمت بنفسها، وشرعت بالكتابة على الورق، إذ قبلاً كانت تكتبه شفاهة، لا شاعر محدد تأثرت به سوى شعراء المناهج التعليمية فقد تعلمت مع أولادها وهي تعلمهم وتتوقع لهم أسئلة الامتحانات، الشعراء مثل ابن زريق البغدادي، المتنبي، ابن زيدون، معروف الرصافي.

أما أهم الركائز التي نهض عليها وعبها المعرفي والإبداعي فتقول: «كنت أفلسف الحياة في خواطري وأقدس الإنسان».

لا طقوس للشعر لديها. وتدخل ملكوته عبر بوابة الحزن النبيل الذي يولب خيطاً من بخور ليصل السماء السابعة حينها تكتب منى، فالفرح طارئ، والحزن النبيل لصيق.

قليلة التفكير في نفسها، تفكر بالعائلة دوماً، هي مهددة بسيف الطلاق دوماً، وبالإهمال، والتنديد بأنوثتها، وبأنها اليد السفلى التي يتوجب عليها التذلل والتشكر والتمسيد، منى مزيج من ضعف وقوة.

تقوم منى بجلسات مراجعة صامتة مع الذات، وفي كل خلاف مع إنسان ما، منى تستند بنفسها لا غيرها، ما فكرت بمسيرتها الأدبية إلا متأخرة، وذلك للزخم الفكري والجسدي الكبيرين اللذين توليها للعائلة والزوج، لم تحلم بشيء سوى بالعائلة وكيفية إسعادها، وما فكرت بأي مستقبل سوى أولادها ومستقبلهم، وعلاقتها بزوجها وبيت حماتها، ما كان التفكير بالمستقبل بقادر على أن يأخذ منها التفاني بالحاضر، اليوم لها وللعائلة والغد بظهر الغيب، تخلص لليوم بأنتم الاستعداد للغد، لا شيء يخيفها سوى الطلاق، البيت يعني: العبادة الأولى وعبادة العبادات.

خاضت منى نزلاً شرساً مريراً مع اللغة الشعرية، واهتدت للطريقة الفنية اللغوية التي لم يكتبها أحد من قبل، هذا برأيها، إذ أنها تجيد اللعب باللغة وتوظفها في خدمة المشاعر الشعرية والتخييل لا مأساة حينما تتمكن منى من كتابتها إذ فور وضعها على الورق يكون قد تم التغلب على ما يسمى مأساة، تكون قد هانت وأصبحت من الماضي والذي قلما تلتفت إليه إلا فيما ينفع ما تكتبه من شعر. شعرها خال من الرموز والاستعارات باستثناء ما جاء في ديوانها «قلبي فراشة العقل» استخدمت فيه الرمز، أما عن فهمها للشعر، وطبيعة عملها على القصيدة، وعن بعض مصادرها ومراجعة فتقول بكثير من الجرأة والحرية وعن الإشكاليات التي تواجهها كشاعرة؟

عندما تكتب الشعر يعني أنها موجودة، وتتنبس. تصب جام غضبها حيث «قل رهط الغاضبون»، على الورق، مصادرها مما يليها هي أرضية لا تحلق عالياً، تكتب مما يليها بيمينها، مصادرها المطلعة، هي تقرأ الرواية أكثر من الشعر حيث برأيها: قليل من الشعر يقرأ. لا إشكاليات حالياً فقد توصلت للقالب الذي ستضع فيه كلماتها حيث المبني يحفظ المعنى والظرف يحفظ المظروف، تكتب برمز وبيعض المواربة، تكتب حتى عن الوصل والعلاقة المرجوة بين الحبيبين برمز ومواربة، قل من يمسك بها متلبسة.

لم يحدث لها أن ندمت على كلمة كتبتها، ولكن ندمت لأنها في الديوان الأول «رعاف قلب» سمحت لناشر راحل أن يعدل.. أيدل جملاً شعرياً بحالها وهذا أذاها، لن تسمح لأحد ما أن يغير كلمة بعد اليوم إلا بالنصح فقط.

هل سيرتها هي شعرها؟ إذا كان هذا حقاً فإين تنتهي الحياة وأين يبدأ الشعر؟

«نعم، هي معظم ما مر بحياتها من متاعب. فالفرح عاجز، والحزن مقيم، لا فرح سوى الأولاد، العائلة» الشعر يبدأ ولا ينتهي حتى بنهايتها هي، الشعر مسيرة حياة لا تنتهي، هو شعور مذاًب مصوب فوق سطور، الكلمة الحقّة تخلد أبداً كما في رقيم حجري، عساها ولعلها كتبت أمراً ما مؤثراً كما نقش على حجر.

هل كتبت ما اختبرته بنفسها وتذوّقت ألمه ولذته؟

نعم، هي لا تكتب من هباء، لا لغرض اللعب باللغة فقط، بل لهدف الكشف عن العنق الاجتماعي وكشطه وتعريض البنية المجتمعية، لشمس الشعر وأتونه، الأدب ليس لعبة، الأدب والشعر متعة مقرونة بفائدة، تشخيص للعلل، وتترك للقارئ سبل استنباط الحلول المجتمعية على شكل سنّ قوانين لصالح الطفولة، لأنها الضحية الأولى، والأهم في لعبة الحب المتعثرة بين بني الإنسان.



وعندما تسألها، فيما إذا حققت هويتها الشعرية، تجيب بأنها تظن أنها فعلت، فقصاصها هي نتيجة تراكم المعرفة، وتجربة ذاتية، لا تتحدث عن أساطير، ولا تروي خبايا حياة مثيرة، أو ما يجري لك من وقائع في الحياة، بقدر ما تعيش نبضها من خلال الذات، وعلاقتها مع الآخر.

قرأت أساطير شتى، لكنها لا تشير إليها في قصائدها إلا لماماً، فهي ترى أن هذا إبراز عضلات قرائية ومجال مباحة، لا إثارة في حياة منى سوى أنها انتقلت من غرفة إلى غرفة أخرى في نفس البيت، مع فارق هو تغيير اسم رب البيت فقط.

كتبت مما حولها فهي أنثى الأرض، وما يمت لها بصلة أنوثة ما وأمومة،

معظم الوقائع شعراً خاصة في قصيدة «وتحلم المرأة»، فهي تضم أمراضاً اجتماعية خلقية شتى، سلطت الضوء عليها، تخجل وكأنها هي من صنع يدها، كأنها من قام بكل هذا المنكر.

لم تعجن الحرب على بلدها حدة التعبير المأساوي في قصائدها التي حملت حرائقها ونداءات أطفالها من خرائط التمزق والقهر، ولم تشكل الحرب مادة الأسى التعبيري فيها، الحرب يجب أن تعاش، يجب أن تحتك بها، بالناس، بالشارع، بالعمل، ومنى لا عمل لها. أهلها في جنوب القطر وهي في شماله، لا أقارب، لا منفذ لها سوى وقت الذهاب لطبيب ما، كان هذا من أول العمر حتى آخره، منى كانت أمها تدعها تضع قدمها على ورقة بيضاء وتخط حولها بالقلم لتشتري لها حذاء، تشتري ما تلبسه منى على هواها، منى لا دخل لها، لا اختيار، قالت لزوجها: فكرت بأن أعمل كذا من الأمر، أجابها: لماذا تفكرين، أنا أفكر عنك! إن لم تعش الأمر أنت بنفسك لن تستطيع أن تعبر عنه أدباً سواء كان شعراً أم قصة أم رواية، منى كتبت عن الشقاء الإنساني للرجل والمرأة فهما صنوان هما وجهان لعملة واحدة، هي الحب والجمال، قد تغنت بالجمال فيما كتبت به وسلطت ضوء الكلمة على القبح الإنساني، هي عاشت حرب البيت، دخلت الزواج وهي تظنه بيت الحب، فما كان إلا بيت حرب من طرف واحد، وصبرت، جبهة الحرب داخلاً وخارجاً، حرب الداخلة أسوأ الحروب وأطولها عمراً، فهي لا تنطفئ، قد كتبت عن الحرب المستمرة.

قيمة الشعر لا تكمن في الموضوعات مهما تكن نبيلة وعادلة وحيوية ومصيرية وإنما هو الشكل الغني الذي يختاره المبدع للإبلاغ رسالته.

تعذبت منى حتى وجدت المبني لتضع فيه المعنى حتى يوافق الظرف المظروف، اختارت درياً خاصاً بها لم تقتف أثر أحد، لها خطوطها، دربها، لغتها الخاصة، اختارت درياً لم يسلكه أحد قبلها، اختارت الاختلاف، والغموض المحبب، تحب الدرب الصعب، ابتعدت عن الكلمات الشعرية المستهلكة، عرفت من بحر اللغة الثر، لعبت على وتر التميز عن الغير، حتى تحاكي نفسها شيها، لم تكن غيرها قط.

تري هل استطاعت، في شعرها، أن تكشف عن وجه الحياة الحقيقي؟

«نعم، قد فعلت وعرت القبح، عرت الجمال، مسلطة ضوء اللغة، شمس الحرف على عفونة بعض الحياة، توخت الحقيقة الصادمة المؤلمة فهي الأنجع تداولياً من أوصاب الحياة».

أما عن قيمة السعادة في الشعر؟ فتجيب: «أن تكتب يعني أنك موجود، وهذا منتهى السعادة وكاف للحياة بسلام».

الشعر هو تأسيس للوجود بواسطة الكلام، وقيمة الشاعر لا تستمد كمها وكيفها من القضية وإنما بمقدار صدقه تكون قيمته، بمقدار دأبه الملح على الصدق وسبر أغوار الحقائق للوصول إلى حقيقة الحقائق، بمقدار عمق الإيمان، يكون عمق الموهبة.

نعم، هو تأسيس للوجود، وتأكيد لقوله: «إني هنا، إني أنا، ما جئت للعالم هكذا، ولن أقضي هكذا هباء بدون أصدقاء. الشعر موقف صريح من الحياة وعمله الهدم والبناء، التعرية والإكساء، الإيمان بالإنسان في حالتي ضعفه وقوته. والشعر أخذ باليد لا ضرب على اليد وموعظة موجودة. وعن جدلية اللغة، في مجال التفكير والتعبير، وهل يعتبر الشعر باللغة أم يفكر بها؟

تقول: «كما أسلفت سابقاً، اللغة غير المستهلكة وغير المحفوظة، المعلبة، هي لغة الفكر والاعتماد بالنفس، كما لكل جلده الخاص، كذلك الشعر، والشاعر له لغته الخاصة به، قدمه، دربه، نظرتة المغايرة للنظر الجمعي، القطيعي العام، فكره الإنساني الخاص الذي يخدم كل الأجناس والألوان

تعزية



نعى اتحاد الكتاب العرب الأديب محمد راتب الحلاق الذي وافته

المنية بتاريخ 2020/9/10

عن عمر يناهز ثمان وسبعين عاماً.

الأديب عضو في اتحاد الكتاب العرب، جمعية الدراسات، وله عدة

مؤلفات.

رئيس اتحاد الكتاب العرب وأعضاء المكتب التنفيذي وأسرة

تحرير "الأسبوع الأدبي" يتقدمون بأحر التعازي من أسرة وذوي

الأديب محمد راتب الحلاق.

راجين الله عز وجل أن يتفقد الفقيد بواسع رحمته ويولمهم أهله

وذويه الصبر والسلوان.

وانا لله وانا إليه راجعون

من مؤلفاته

. فن الحياة.

. عبد الحميد الزهراوي.

. الفقه والتصوف.

. النص والممانعة.

. نحن والآخر.

. من ديوان السرد العربي.

النقد الأدبي / من الخصوصية إلى وحدة المعرفة

انتصار على الزوال والنسبية

١ من ٢

• إسماعيل الملمح

منطقي يقبله العقل. "3" مهما تقدمت علوم الإنسان تظل مقصرة عن اكتشاف ما يفكر به المرء في شؤون الحياة المختلفة. ما يصدر عن الفرد من سلوك وما قد يصدر عنه من أحكام لا يصدقها قانون. قد يحوز إخضاع هذه الجوانب إلى أحكام المنطق وقوانينه على مصداقية الأحكام أو النتائج التي تسجلها المحاكمة. لكن هذه المقاربة لا تعني ما يريده ناقد النص الأدبي.

كانت المرحلة الأولى للوعي النقدي تنحصر في معرفة المعنى اللغوي للنص ومقاصد الأديب شاعراً كان، أو كاتباً في أجناس أدبية أخرى بما فيها تلك النصوص المسرحية ببعدها الجمالي، وكذلك طريقة وأسلوب النص. وهذا ينقلنا إلى مرحلة أعلى أنتجت وعياً نقدياً تعاملت مع النص من حيث أن مطالعته تقتضي أن يُقرأ النص ضمن استراتيجيات واعية بالخطاب كونه يعبر عن ذات لها خصوصيتها وبالثقافة كونها تعبيراً عن وعي جمعي، إضافة إلى مساعدة القارئ في عدم الوقوع في أسر التكرار. ما سبق يفيد المتلقي في قراءة النص ونقده قراءة جمالية نقدية تكشف عن الرصيد الجمالي للعمل المنقود. "4"

تحويلات في مفهوم الأدب:

لا يزال مفهوم الأدب من خلال الفكر النقدي خاصة في العصر الحديث يخضع بشكل أو بآخر لتحويلات جوهرية تتعلق بما يصيب مفهوم الأدب ذاته من تلك التحويلات. وبمعنى ما يظل تعريف الأدب قضية مطروحة على الدوام. وطالما حذر كتاب ومفكرون من وقوع الأدب في فخ الموثوقية وبرائن الوثائقية فيفقد جاذبيته ومتعته، كما يقول ألبرت مورافيا مضيئاً أن المدارس الأدبية تموت، لكن الأدب يبقى. . وعلى منوال ذلك يقول أندريه مالرو: الأدب مثل الفنون التشكيلية جوقة أصوات عبر العصور، إنه انتصار على الزوال والنسبية. فالنص الأدبي يشترك مع النص الفلسفي في أنه لا وجود بمعانيه دفعة واحدة، أو أنه واقع فيما يشمله القانون في الفيزياء أو النظرية في الرياضيات حيث يفقد التقديم مصداقيته أمام الاكتشافات الجديدة. (فما من أحد يستطيع أن يدعي بعد قراءة أفلاطون في الماضي أو في الحاضر أو في المستقبل أنه في زمن ما قد اكتمل لديه فهم أفلاطون وانتهى). والأمر نفسه بالنسبة إلى ديكارت أو كانط، مخطئ من يعتقد أنه ليس لهؤلاء إلا قيمة تاريخية فحسب. فإذا قلنا أن لا أحد اليوم يأخذ بنظرناهم في الثقافة تكون واهمين لأننا وجدون دائماً من ينتسب إلى فلسفة أو ميتافيزياء ديكارت أو كانط أو آخرين. .

ذلك لا يعطي القول الفلسفي حق الثبات والقدسية بقدر ما يكشف عن الرؤى التي لا ترتحن إلى دائرة التكرار أو التقليد. كاتب عصره ذلكم هو الذي يتجاوز نفسه إلى عالم غني بالمعرفة والجمال. أما أولئك الذين ينغلقون على مقولات مضت وتجاوزتها المعارف والأذواق فهم لا يتعدون كونهم مرضى نرجسيين وحيديين في عالم يطرد الشوائب كل حين عن مرآة الوجود. أما ذاك الذي يحيا في مرآة ذاته فهو أيضاً لا يعدو أن يكون، بحسب بعضهم، كتلة مجبولة بحول رخيص لا يلبث أن يتبحر. لا يغدو النص الأدبي هو ذاته إذا لم يحسم أمره في تجاوز الأيديولوجيات الشديدة التزمّت. وضع سارتر هذه الفكرة قائلاً:

جدير بالكاتب والأديب في إعطاء نصه فرصة انتقال الجماعة إلى التفكير والتأمل في ذات نفسها، فليس فن الكتابة عامة بعد محمياً بقوانين العناية الإلهية أو عناية قوانين وضعية. الناس في النهاية يختارون فنونهم ويصنعون نصوصهم لكن، لا بد من الإشارة - بحسب محمد غنيمي هلال - إلى أن لا يتحول الأدب إلى دعاية محضة أو إلى ما يشبه الصلاة المحضة فيؤدي إلى تردّي المجتمع في حماة الأمر المباشر، أي إلى حياة بدون ذاكرة كحياة الحشرات والزواحف، فيسير كل اليسر أن يستطيع العالم الاستغناء عن الأدب وهذا يعني أنه يستطيع خيراً من ذلك أيضاً أن يستغني عن الإنسان.

ليس الأدب الجدير بالحياة الذي تشغله المكاسب الآنية أو هو الذي يصدر عن متكسب أو طامع بوجاهة ما، فالمتسكع على الأبواب يتسول ما لاحق له فيتحوّل إلى كاتب يوجهه الافتعال فيهبط بما فعل إلى قاع الاتباع بعيداً عن أي صلة بالإبداع.

الهوامش:

- 1 - بيار ماشيري: بيم يفكر الأدب؟ - ترجمة جوزيف شريم - المنظمة العربية للترجمة - بيروت 2009
- 2 - محمد علي شمس الدين: حوار في ملف (أي معنى للاتزام اليوم؟) - مجلة البحرين (العدد 41) - ص 59 - آذار 2005
- 3 - السابق ص 60
- 4 - عبد الفتاح أحمد يوسف: استراتيجيات القراءة في النقد الأدبي - ص 165 - عالم الفكر عدد 36/1 - أيلول 2007

إذا كان الأدب لا يفكر، كما تفكر الفلسفة، ولا يحتمل وجود أفكار فلسفية جاهزة تصاف إليه وتنتزع منه، لأنها تكون كخلايا ميتة في جسد حي، وأنها لم تكن فناً لغوياً صرفاً ولا شكلاً خالياً من مضمون. فإن الأدب وهو ينتج أشكالاً وصوراً وأنماطاً تعبيرية وصفية وسردية وحوارية، ينتج في الآن ذاته أفكاراً، ويطلق رسائل ولكنها ليست مباشرة كما في التوجيهات الأخلاقية والمبادئ التعليمية. وكونها كذلك لا يُنتقص من قيمتها كتجارب فكرية، بل يكسبها صفة خاصة، ويمنحها بعداً آخر. إنها نسيج متشابك الخيوط كثير التشعب متعدد الألوان. فلا يجردها ذلك من طبيعتها الأدبية.

بيار ما شيري: بيم يفكر الأدب "1"

بداية، يقتضي التعامل نقدياً مع أي نص أدبي من وجهة الثقافة، والثقافة هي دوماً متحركة لذلك قد يقع بعض العاملين في الأدب وفي النقد منه بشكل خاص بالاجترار على النقد الأدبي أو النقد الثقافي بمعناه الأوسع ما قد يدخل الأدب والفكر عامة في إشكاليات تشتت النص، وقد يخرج عن سكوته التي يبدو أنه قد انطلق منها. حتى بدا في كثير من الأحيان، أن بعض الأصوات من هنا وهناك وخارج المشهد الأدبي، فسحت في مجال التجرؤ من بعضهم على إصدار أحكام قاطعة يشير فيها إلى أن القول بوجود نصوص أدبية لها ما لها وعليها ما عليها هو خروج عن جادة الصواب التي تسلكها المعارف البشرية، فتأتي أحكامهم متفكة، بصورة ما، مع أولئك الذين ينتطعون إلى تكرار أقوال من جهات مختلفة تصر على تبني مقولة موت الأدب عامة، أو أن بعضهم لسبب أو لآخر لا يتورع عن الإساءة للمشهد الأدبي معمماً بنفي الإبداع في النص الأدبي عامة بقوله أن لا أدب يستحق اسمه عندنا في هذه الساعسة للمعرفة وسيادة التقنيات الحديثة والدائمة التطور.

القول بنفي وجود أدب، أو بقصور النصوص في عصر التسابق المحموم على المعرفة وتجدها لا يعني الحكم بموت الإبداع. الإبداع موجود ومرتببط بالإنسان، لكن بعض العوائق والحوارج ليس مردها الإبداع نفسه، وإنما هي حواجز غالباً ما تعود إلى أسباب من خارج النص، منها ما يتعلق بمشاعر الخوف والقلق التي تساور المرء ولا تتعلق بقيمة العمل الأدبي فحسب، وإنما هي أسباب تعود إلى إمكانيات نجاح العمل في سلوك درب النشر من جهة، وتجاوز البيروقراطية المتجذرة التي تمد أذرعاها للتشويش على الانتشار الأدبي، من خلال عمل مثل تلك الجهات الدائب في سعيها لتتميط الشخصية الإنسانية ونمذجتها وفق معايير لا تأبه بقيمة الإبداع، من جهة أخرى، ناهيك عن تشجيعه. وثمة جانب هام في مجال المداخلة على النقد يتمثل في تلك الحقب التي لازم فيها النقد الأدبي مقاييس الالتزام التي أقامت طويلاً لدى النقاد، حتى غدا الأدب بعامة والشعر منه بخاصة أسير علب العقائد الجامدة، كما شخصها أوكتافيو باث، حين قال:

حينما أقول أن الاشتراكية الماركسية التي نظرت إلى الواقعية الاجتماعية في الفن وأصبح مفهوم الالتزام في الشعر، مثلاً، مرتبطاً بها كانت في بداياتها انتقادية ولم تكن تدميرية للإبداع غير أنها بمأسستها الستالينية تحولت إلى أداة تدمير للإبداع الفني وعكس ذلك الاتجاه نفسه على كل البلدان والنتيارات الأدبية المرتبطة، بشكل ما، بالمركز السوفييتي. وقد جاء رد الشاعر اللبناني محمد علي شمس الدين في إحدى الحوارات معه مقارياً لفكرة الالتزام في الأدب، كالآتي:

اللحظة الجوهرية الآن لمعنى الشعر، وأنجزاً، كما في أي نص أدبي آخر، وكما اعتنقتها على الأقل، تتلخص في أن الشعر، كما اعتقد، هو لحظة حرية عظيمة تتحرر من جميع البلاطات... تتحرر ليكون الشاعر، هو ملك نفسه. لم يعد هناك شعر التزم، بالمعنى الذي شاع في الأدبيات الاشتراكية. اللحظة الحالية للشعر، القصيدة كما أراها، تنطلق لتتوج الشاعر ملكاً على نفسه. وأن لحظة الحرية التي أدركتها القصيدة بمعناها المعاصر تجعلها في حل من أن تلتزم بشيء. أنا ملتزم، يضيف الشاعر، بالقلق، وكل من كتب الشعر بمحضرات غير داخلية، لم يستطع أن يتصالح مع الشعر وخرج خارجه. "2"

أين من تلك الملاحظات الواثقة ما توفره وسائط التواصل الاجتماعي من فوضى التقولات الشعرية، الآن وغداً، وتلك المواقع الموسوسة بإرسال بطاقات وشهادات ورقية أو افتراضية، وتوزيعات لأمرأ مزيفين تغدق عليهم ما أنزل الله بها من سلطان تصاف إلى أسمائهم إلى جانب نشر صورهم فيتداخل فيها الصالح مع الطالح. إنه وقت الردة إلى عصر المنابر التي تبحت عن النبوة العالية وان كانت خاوية.

النقد والوعي النقدي:

أسوأ النقاد هم النقاد الملتزمون، لأنهم ولدوا ما لا يولد من الرداءة، أجاب الشاعر في الحوار نفسه عندما سئل عن النقد من وجهة نظره، قال:

لقد اخترعوا شعراء ومطربين ومغنيين لا يغدو فعل النقد خلافاً إلا حين يتحول هو ذاته إلى رؤية. يلعب النقد في أي مجال من مجالات الحياة دوراً هاماً ومؤثراً كونه يتناول نشاطات إنسانية لا تحكمها قوانين الفيزياء أو أحكام الرياضيات بقدر ما تشير إليه هذه القوانين والأحكام من أساس

الأدبي

جريدة تعنى بشؤون الأدب والفكر والفن

تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق

أسست وصدرت ابتداءً من عام 1986

المراسلات

الجمهورية العربية السورية - دمشق - ص 3230 - هاتف 6117240-6117241 - فاكس 6117244 - جميع المراسلات باسم رئيس التحرير. هاتف الاشتراكات 6117242

ثمن العدد داخل القطر 25 ل.س - في الوطن العربي: 0,5 \$ خارج الوطن العربي: 1 \$ أو ما يعادله. تضاف أجور البريد للمشاركين خارج سورية

للنشر في الأسبوع الأدبي

يراعى أن تكون المادة:

- غير منشورة ورقياً أو عبر الشبكة.
- منضدة ومراجعة ومدققة مع مراعاة التشكيل حين اللزوم، وعلامات الترقيم.
- ألا تتجاوز المادة المرسله 800/ ثمانمائة كلمة.
- يرفق مع المادة CD أو ترسل عبر البريد الإلكتروني alesboa2016@hotmail.com
- يرفق مع المادة الصور المناسبة إذا لزم الأمر.

الآراء والأفكار التي تنشرها الصحيفة

تعبّر عن وجهة نظر كاتبها

www.awu.sy

E-mail :

alesboa2016@hotmail.com

الاشترك السنوي - داخل القطر: أعضاء اتحاد

الكتاب العرب 700 ل س - للأفراد 2000 ل.س - وزارات ومؤسسات 2400 ل.س - في الوطن العربي - للأفراد 6000 ل.س أو 150 \$ - للوزارات والمؤسسات 8000 ل.س أو 175 \$ - خارج الوطن العربي - للأفراد 2000 ل.س أو 360 \$ - للمؤسسات 30000 ل.س أو 4200 \$ والقيمة تسدد مقدماً بشيك مصرفي لأمر اتحاد الكتاب العرب - دمشق ويرجى عدم إرسال عملات نقدية بالبريد.

هيئة التحرير:

أمير سماوي، د. سليم بركات، سهيل الديب،

علوش عساف، عماد نذاف، محمد الحفري

مدير التحرير:

د. حسن حميد

رئيس القسم الفني:

مها حسن

رئيس التحرير:

أ. محمد حديفي

المدير المسؤول:

مالك صقور

رئيس اتحاد الكتاب العرب

الإشراف الفني:

نضال فهيم عيسى



أ.محمد حديفي - رئيس التحرير



جميلة صباحات الوطن

التي تجود به الأرض بيسر ودون عناء يذكر، وقد لفتني في الفترة المذكورة ارتباك هذه الدولة، وتخبُّطها في اتخاذ القرارات لمواجهة الجائحة، ورأيت أنها راحت تصدر قراراً، وبعد لحظات تصدر نقيضه، وعندها تذكرت سورية وطني الرائع الذي ما زال ينزف دماً منذ عشر سنوات، ويجابه الأعداء على جبهات عدة؛ حيث وصل أعداد الدول التي تكالبت عليه إلى أكثر من ثمانين دولة ولكنه ما زال صامداً صابراً محتسباً يشد الأحزمة على البطون، ويكابد الجوع والفقر والحاجة في سبيل أن تبقى كرامته مصانة وحدوده منيعة وهامته مرفوعة، وهكذا كان..

صحيح أن سورية الآن وللأسباب الأنفة الذكر تمر بضائقة مادية خانقة، وتكابد شظف العيش، وتحتاج إلى الكثير من مقومات الحياة الضرورية، إلا أن الصعب في تقديري ولي وانقضى، والاستمرار في الصمود للبقاء هو الهدف الأسمى الذي تسعى إليه، وهنا تذكرت قوافل الشهداء التي قدمها هذا الوطن، والتي حققت بصمودها وتضحياتها المقدرة على الاستمرار حتى الآن، ولسوف نواصل مسيرة الصمود حتى تحقيق الهدف الأسمى والأنبيل، وهو طرد أعدائنا أو دفنهم هنا في هذا التراب الذي لونه الأحمر القاني لكثرة ما أريقته فوقه دماء ذكية طاهرة روت الأرض، فأينعت فيها شقائق النعمان..

لا أحد الآن يستطيع نكران ما نمر به من ضائقة، وما تكابده من حاجة ومعاناة إلا أن إيماننا بأن المستقبل للشرفاء وأصحاب الحق هو الذي يخفف الكثير من معاناتنا، ويثبت أقدامنا في تراب الأرض الذي نعتز بعشقنا له، وتضائنا للذود عنه؛ كي يبقى طاهراً مطهراً ونذكر بأن النصر لنا في نهاية المطاف، لأن أحداث التاريخ علمتنا وتعلمنا أن من يتشبث بأرضه ويدافع عنها سينتصر في نهاية الأمر؛ بينما المستعمر الغاصب إلى زوال..

عدت إلى أرض الوطن، وكلي شوق وعزيمة أن أواصل مع أهله مسيرة البذل والصمود والعطاء أسوة ببقية أبنائه الذين فضلوا العيش به رغم قساوة هذا العيش، إلا أنهم يحسون في أعماقهم أن الوطن الجميل كي يصبح أكثر جمالاً يجب أن يروى بالدم والعرق لأنهما في نهاية المطاف سيثمران نخيلاً وارفاً معطاءً، وعندها سننسى ما عانيناه وكابدناه، ونفخر بأننا جديرون بحمل اسم هذا الوطن، وفخورون بإعلاء رأيتيه..

أحس الآن بسعادة غامرة، وفرح داخلي افتقرت إليهما لشهور في الغربية، وأعلن أنني صبرت وصابرت، إلا أن نتيجة الصبر قطفنتها بفرح وسعادة، وكيف لا وها أنا أستنشق رائحة التراب العابقة بدماء الشهداء.

كان قاسيون ما يزال يواصل إغفاءته الحائلة الوادعة حين صارت دمشق على مرمى القصيدة من دمي، وأنا أعود إليها بعد غياب قسري مرّ بطيئاً ثقيلًا ضاغظاً، أحسسته دهرًا من الغربية؛ إذ كان الشوق يحملني بين جناحيه كل يوم، ويطيّر بي عائداً إلى دمشق لأسير في الحلم في شوارعها، وأتملى من حاراتها العتيقة التي تذكرني من خلال ما تنشره من عبق وضيء بأيام أنبتت دمشق من خلالها أنها عصية على الغزاة الذين تعاقبوا عليها مرات ومرات، في عصور خلت، لكنهم تحطموا أمام أسوارها وعادوا خائبين خاسرين يجرون أذيال الهزيمة والعار..

عدت لدمشق الجريحة النازفة التي تكالبت عليها كل قوى الشر في العالم، وتعرضت لأشرس فاجعة في التاريخ، أقول فاجعة لأن الذين غدروا بدمشق كثير؛ إلا أن الوجع الأكبر الذي عانته كان من بعض أبنائها الذين تنكروا لفضائلها التي لا تعد ولا تحصى، ومدوا أيديهم لأعداء العروبة الأذليين من صهاينة وغرب، وارتموا أذلاء في أحضان العدو، وكان المقابل بعض دولارات قبضوها صاغرين أذلاء حينما بدؤوا سلسلة التنازلات التي تلاحقت وما زالت تتالي والهدف واضح وهو إذلال دمشق وإركاها، يساندتهم في ذلك بضعة دول عربية اختار حكماها البقاء على سدة عروشهم، وضمن ذلك أموال العرب وبترولهم، وكلما تحتويه الأرض من خيرات ذهب، وما زالت تذهب إلى خزائن الغرب لترصد مصانعه التي لا تنفك تنتج السلاح الفتاك، وتقوم ببيعه بأثمان باهظة لمن يطمحون إلى قتلنا، وتهجير نساءنا وأطفالنا؛ إن لم يكن إزالتنا من الوجود، وتقديم الأرض هدية للكيان الصهيوني الذي يحلم منذ قرون بأن يستولي على هذه الأرض الخيرة المعطاء..

تزامن ذلك كله مع جائحة المرض الذي داهم الكرة الأرضية وأطلقت عليه تسمية «كورونا» التي قيل في كثير من التفسيرات أنه صنعة الدول الكبرى، وعلى رأسها الولايات المتحدة الأميركية التي ترى حسب ما جاء في التحليلات أنها تطمح لعالم قليل السكان وكثير الخيرات حتى يصبح دخل الفرد عالياً مما يتيح لمن تبقى على قيد الحياة أن يعيش هانئاً ويحصل على متطلبات الحياة الرفهة الهائلة بسهولة ويسر..

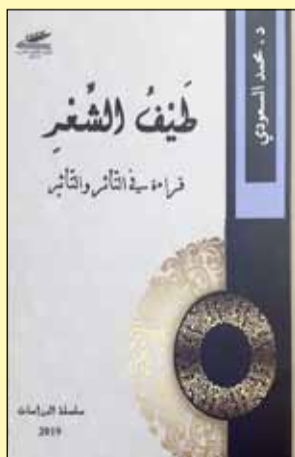
في أوج تفاقم المرض صدف أن كنت في زيارة خرجت أحداثها عما كنت آمله وأخطط له، إذ كان برنامج زيارتي كما هو مقرر أن يستغرق أسبوعاً وعلى الأكثر عشرة أيام إلا أن إقفال المطارات، وعدم تمكني من العودة إلى أرض الوطن اضطرني أن أبقى لفترة طويلة لم تكن بالحسبان في هذه الدولة النفطية قليلة عدد السكان، إلا أنها تملك إمكانات هائلة من عوائد النفط

mouhammad.houdaifi@gmail.com

إصدارات جديدة منشورات اتحاد الكتاب العرب



• صليل الذاكرة
• خضر أحمد علي
• شعر



• طيف الشعر
• د. محمد السعودي
• دراسات



• الآن يا بردي
• علي عبد الجاسم
• شعر



• في حضرة الجسد
• محمد علي الخضور
• شعر



• شيء عنها
• عبد الكريم الناعم
• شعر



• قطار الفرح
• صالح هوارى
• شعر للأطفال